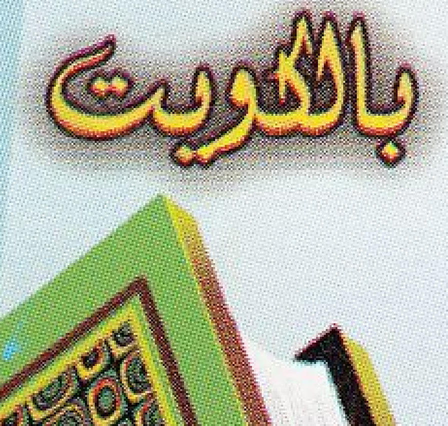
الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة وصلته بمنهج الدعوة الاسلامية

تأليف
د/ نادى درويش محمد
الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف
بالكويت





مكتبة الإيمان

الإعجاز العلميّ فى القرآن والسنة
وصلته بمنهج الدعوة الإسلامية

تأليف
د / نادى درويش محمد
الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف
بالكويت

مكتبة الإيمان
القاهرة ٤ ش أحمد سوكارنو- العجوزة
ت ٣٣٤٥٢٣٠٢ - فاكس ٣٣٠٤٤٨٤١

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع: ٤٦٤٧/ ٢٠١١
I.S.B.N: 978-977-449-088-0

مكتبة الإيمان

القاهرة ٤ ش أحمد سوكارنو- العجوزة

ت ٣٣٤٥٢٣٠٢ - فاكس ٣٣٠٤٤٨٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

[سورة يوسف الآية رقم ١٠٨]

إهداء

إلى الإخـوة الـدعاة الـذين شرّفهـم الله تعـالى بتبليغ دينه للناس، رجاء حمـل الرايـة بـصدق وعلم ويقين.

وفقه فى العرض يفيد الدعوة ولا ينفّر منها

أهدى هذا الكتاب

أخوكم: نادى درويش محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ورضي الله عن أهل بيته إلى يوم الدين.

وبعدُ:

فهذا بحث موجز عن (الإعجاز العلميّ فى القرآن والسنّة وصلته بمنهج الدعوة الإسلامية) وقد تضمّن مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

أمّا المقدمة فهى تتناول أهمية الإعجاز العلميّ فى القران والسنة فى هذا العصر وأما الفصول الثلاثة فقد جاءت على النحو التالى :

الفصل الأول : ويتضمن مفهوم الإعجاز العلميّ

الفصل الثانى : ويتناول نماذج وثمار للإعجاز العلميّ فى القرآن والسنة

الفصل الثالث : ويتناول صلة الإعجاز العلميّ فى القران والسنة بمنهج الدعوة الإسلامية

أمّا الخاتمة : فقد تضمنت بعض النتائج والتوصيات للدعاة

والله أسال أن يوفقنا للسداد والرشاد والصّدق فى الدعوة إلى الله عز وجل ، وأن يشفع فينا سيدنا رسول الله ﷺ وأن يُحسن خاتمتنا أجمعين .

المؤلف

المقدمة

وتتضمن أهمية الإعجاز العلميّ فى هذا العصر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان، وسخر له الكون بما يقوم عليه من نواميس تعد آية في الدقة والإبداع، وفق قوانين إلهية لا تتخلف أبداً، ومن ثمّ فهذه نواميس تشهد بطلاقة القدرة الإلهية في الخلق والإبداع والتصوير والتنويع..

وأشهد أن لا إله إلاّ الله ، وحده لا شريك له، أنعم على الناس ليشكروه، وكلفهم في حدود طاقتهم ليطيعوه، واصطفي منهم رسلاً ليبلغوا دينه، وجعل خاتمهم سيدنا محمداً ﷺ ، ذلك النبي الأمى الذي أكمل الله به الدين، وأتم برسالته علينا النعمة، وجعل هذه الرسالة تحمل صنوف الإعجاز؛ ليقف كل جيل على عطائها، فتقام عليه الحجة بوجوب اتباعها والتمسك بها في كلّ الظروف والأوقات.

وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ رسول الله أنزل عليه الكتاب والحكمة، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيمًا، فكان بحق معلم البشرية دون نزاع، وأ وأُوتي جوامع الكلم، فاشتمل كلامه على إشارات يمرّ عليها العامي مرور الكرام مكتفياً بالوقوف على ظاهر معناها، ويمر عليها خواص العلماء فيستخرجون منها كنوز المعارف والعلوم مما لا يتعارض مع ما يصل إليه العلم الحديث، وكل ذلك إعجاز إلهي لرسالته الغراء، الباقية بقاء اللّيل والنهار إلى قيام الساعة، والممتدّة في أرجاء المعمورة دون توقف أو انحسار، رغم كيد الكائدين وحقد الحاقدين.

صلّى الله عليك يا خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آلك وصحبك أجمعين إلى يوم الدين.

أما بعد فلكل عصر عطاؤه ، ولعل أبرز صفة تتوفر لهذا العصر أنه عصر

الإعجاز العلميّ.

هذا الإعجاز الذي جعل العالَم كلَّه في حركةٍ دائبة من الاتصالِ والتفاعــلِ، فما يحدث في بلد ما ــ مثلاً ــ يمكن أن يُري بعد ثوانٍ في أقصي مكان فى العالم، حسب البث عن طريق القميرات الصناعية، كما أصبح الاتصال عن طريق الهاتف "المحمول أو النقال" يحدث في أي زمان ومكان دون معاناة ما دامت شبكات هــذه القميرات تؤدي عملها، وتغطّي المجال الجوى لالتقاط المكالمات، وأيضا أصــبحت شبكات "الإنترنت" أعجوبة العصر في نقل المعلومات والمخاطبات والتقاط الرسائل، بل وإحداث حركة سريعة في البيع والشراء..الخ، مما يجعل الإنسان داخل غرفتــه يدير أعمالا كبيرة، كانت تحتاج في الزمن الماضي إلى الوقــت الطويــل والجهــد الكبير، ولم يقتصر الإعجاز ا لعلمي في هــذا العــصر علــى وســيلة الاتــصال والمشاهدة، بل أخترق أجواء الحياة العامة والأنشطة الفنية العلمية المختلفة.

ففي مجال الطب أصبحت (المناظير[١]) ، (الليــزر[٢]) الآن أدوات إجــراء كثير من العمليات الجراحية بدل السكين والمقص وتعددت الأجهزةُ الحديثةُ أيــضا وفي مقدمتها (السونار[٣])، هذه الأجهزة التــي يمكنهــا معرفــة (الميكروبــات[٤]) و(الفيروسات[٥]) التي تسبب الأمراض ولم تكن معلومة من قبل على وجــه الدقــة

---

(١) **المناظير**: المنظار جهاز طبي يدخل جسم الإنسان للوقوف على نوع المرض الذي يعاني منه المريض.

(٢) **الليزر**: يعنى تضخيم الضوء بواسطة الانبعاث الإشعاعي المستحث وله مجــالات متعــددة لاستخدام بعضها طبي وغير ذلك.

(٣) **السونار**: جهاز الكشف بالأشعة التليفزيونية على المريض.

(٤) **الميكروبات**: كائنات دقيقة لا تري بالعين المجردة بل ترى بالميكرسكوب العادي.

(٥) **الفيروسات**: كلمة لاتينية تعنى كائنات دقيقة لا تري إلا بالميكرسكوب الإلكتروني ولا تعيش إلا في الكائن الحي.

بهذا النحو، مما ييسر أمر العلاج الذي هو أحد أسباب الشفاء بإذن الله تعالى.

بل إن وقوف العلماء مؤخّرًا على اكتشاف (الشفرة الوراثية)[1]. للإنسان، مما ينبئ بالتعرف على الأمراض الوراثية التي يمكن أن تحدث مستقبلا ــ وفق مشيئة ا لله تعالى ــ قبل وجود الإنسان نفسه في عالم الحياة ووضع العلاج لها، يعد قفزة كبيرةً، وخطوة عظيمةً في مجال الطب الحديث، وصدق الله العظيم إذ يقول: "**عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**"[2].

وفي مقام بيان أهمية التقدّم العلميّ في النشاط الزراعي أقول: أصبح التلقيح الصناعي، للنبات، فضلاً عن الأجهزة المستخدمة في تقليب الأرض، والري والحصاد توفر الكثير من الوقت والجهد مع جودة الإنتاج وكثرة النوع.

وفي مجال الكون والعلوم الفلكية بلغ التقدم العلميّ ذروته، وأصبحنا نسمع عن سفن الفضاء التي وضعت أقدامها على سطح القمر، وبعضها الآخر في طريقه إلى الكواكب الأخرى، كما حدث تقدم هائل في المجاهر (التليسكوبات)، وبعد أن كان أول تليسكوب وجه إلى السماء قطره ٦سم أصبح الآن قطر التليسكوبات ٥ متر، مما ترتب عليه المزيد من الكشوف عن النجوم والمجرّات التي تكشف تباعاً عن تمدّد الكون واتساعه، وكان ذلك يعد أسطورة في القرون السابقة.

---

(١) **الشفرة الوراثية**: تعنى اكتشاف العلماء لجزئ الخلية وهو عبارة عن حبل طوله متر يحمل حروفا أو فصوصا بيولوجية مهمة جداً وأبجدية هى (G. C. A. T) وهى تتكرر بطرق مختلفة تصل إلى ثلاثة بلايين فص، وهى المسئولة عن نسبة الذكاء، والأمراض التي يمكن أن تصيب الإنسان، "من مقال: أسرار الجينوم يكشفها د/ زويل ــ الأهرام ص٢٦ ، في ١٦ فبراير سنة ٢٠٠١م بتصرف.

(٢) سورة العلق الآية (٥).

الإعجازُ العلميُّ في القرانِ وأحاديثِ الرسولِ ﷺ دليلٌ على صدقِ نبوتهِ:

حملت رسالة سيدنا محمد ﷺ - وهو أخر الرسل والأنبياء من خلال شقي الوحي ــ كتابا وسُنة ــ إعجازاً في شتي الميادين المختلفة دينيًّا ودنيويًّا فكريًّا وعمليًّا إعجازا يوجد الدليل تلو الدليل على صدق نبوته ﷺ وعظمة رسالته الغراء على مدار الزمان والمكان أمام العقل الإنساني.

والإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسُنة النبويّة.. هو واحد من وجوه الإعجاز العديدة، بل هو أبرز وجه من وجوه الإعجاز العلميّ، وخاصة في هذا الوقت المعاصر: عصر التقدم العلمي بكل أنواعه وفي شتي فروعه.

هذا وقد تمثل الإعجاز العلميّ في بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في ميادين شتي منها ما يتعلق بالإنسان من حيث تكوينه وأطواره داخل رحم أمه مثل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ (1) .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ (2) .

---

(١) سورة الحج الآية رقم ٥

(٢) سورة المؤمنون الاية رقم ١٤

ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾(1) ومثل قوله ﷺ "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفه ثم علقه مثل ذلك .... الحديث"(2).

وفيما يتعلق بالصفات الوراثية جاء قوله تعالى ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾(3).

ومثل قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ولدلي غلام أسود فقال هل لك من إبل قال نعم قال: ما لونها؟ قال حمر قال هل فيها من أورق قال: نعم قال: فأني ذلك قال: لعله نزعه عرق قال: لعل ابنك هذا نزعه"(4).

---

(1) سورة الإنسان الآية رقم ٢

(2) **مواطن الحديث:**

١- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه الجزء ٦، ص ٣٥٣، كتاب الأنبياء، باب ذكر الملائكة عن عبد الله بين مسعود رضي الله عنه، الجزء ٦ـ ص ٣٦٣، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ط، المطبعة السلفية تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٢- وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه أيضا الجزء ٤، ص ٢٠٣٦، كتاب القدر، باب كيفيه خلق الأدمي في بطن أمه، وكتابه رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، عن عبد الله ابن مسعود، ط، عيسي الحلبي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٣- وأخرجه أبو داود في سننه الجزء الرابع، ص ٢٢٧، كتاب السُنة، باب القدر، عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه ط، الريان.

(3) سورة آل عمران الآية رقم ٣٤

(4) **مواطن الحديث:**

١- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه الجزء ٩، ص ٤٤٢، كتاب الطلاق، باب إذا عرّض بنفي الولد عن أبي هريرة رضي الله عنه. ، الجزء ١٢، ص ١٧٥، كتاب الحدود، باب ما جاء في التعريض عن أبي هريرة رضي الله عنه. =

وقد أثبت العلم الحديث أن عوامل الوراثة والسلالات تنتقل من جيل إلى جيل وتتجمع في الحيوان المنوي للرجل والبويضة للأنثى (حتى المسائل الأخلاقية من انفعالات وغضب لها آثارها السلالية!)

وفيما يتعلق بعلم الحيوان والطير، فقد جاءت آيات وأحاديث كثيرة تحمل أقوالهما إعجازًا علميًا جديرا بالتأمل والتدبر، مثل قوله تعالى ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾(١).

وقد أثبت العلم الحديث أن الغراب يتمتع بقدر كبير من الذكاء عن كثير من الحيوانات والطيور، ولعل هذا سرّ اختصاصه بدفن أخيه دون سائر الطيور والحيوانات.

ومثل قوله ﷺ "إذا ولغ الكب في إناء أحدكم فليغسله سبعًا إحداهن بالتراب"(٢).

=٣- وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ح٢، ص ١١٣٧، كتاب اللعان باب أول كتاب اللعان عن أبى هريرة أيضا.

٤- وأخرجه أبو داود في سننه الجزء٢، ص ٢٨٦، كتاب الطلاق، باب إذا شك في نفس الولد عن أبى هريرة.

٥- وأخرجه أبو ابن ماجه في سننه الجزء الأول، ص ٦٤٥، كتاب النكاح، باب الرجل يشك في ولده عن أبي هريرة ، ط، عيسي الحلبي.

(١) سورة المائدة الاية ٣١

(٢) **مواطن الحديث:**

١- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه الجزء الأول، ص ٢٧٤، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً. =

وقد أثبت العلم الحديث أنّ في لعاب الكلب " ميكروبا" لا يزول إلا بالتراب!

وفي شأن الذباب

جاء قوله تعـالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾[1].

فقد أثبت العلم الحديث أن الذباب إذا امتص شيئا تحول بمنتهى السرعة إلى مادة أخرى، ومن ثم فلا يمكن الحصول على المادة الأولى التى امتصها

ومثل قوله ﷺ :"إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه فـإن فـي أحـد جناحيه داء والآخر دواء"[2].

وقد أثبت العلم الحديث صحة ما ذهب إليه الحديث الشريف من وجود مادة (البكتريوناج) أو مبيد الجراثيم التى تقتل الميكروبات وسيجئ تفصيل لـذلك فـي أثناء البحث حول تحليل بطن الذباب وجناحيه.

= ٢- وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه الجزء الأول، ص ٣٢٤، كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب عن أبى هريرة رضي الله عنه إلا أنه قال أو لا هن بالتراب.

٣- وأخرجه الترمذي في سننه الجزء ا لأول ص ١٥١، كتاب الطهارة، باب ما جـاء فـي سؤر الكلب إلا أنه قال: أو لا هن أو أخراهن بالتراب وقال أبو عيـسي حـسن صـحيح ط، مصطفي الحلبي.

(١) سورة الحج الآية ٧٣

(٢) **مواطن الحديث:**

١- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه الجزء السادس ص ٣٥٩، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في أحد جناحيه داء وفي الأخر شفاء، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الجزء العاشر، ص ٢٥٠، كتاب الطب، باب إذا وقع الذباب في الإناء عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢- أخرجه أبو داود في سننة الجزء الثالث، ص ٣٦٤، كتاب الأطعمة، باب الذباب يقع فـي الطعام عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن خطورة التبول في الماء الراكد جاء نهيه ﷺ عن ذلك فقال: "لا يبولن أحدكم في الماء الراكد"(١).

ثم جاء العلم الحديث فأثبت أن التبول في الماء الراكد ينمي الميكروبات" التي تولد ديدان "الانكلستوبا" وما يتولد منها من أمراض.

وفيما يتعلق بالصحة العامة، جاء الإعجاز العلميّ في كثير من الآيات التى تحث على النظافة – جسمًا وثيابًا ومكانًا– ولا يخفى ما للنظافة من أثر كبير من القضاء على الميكروبات وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ "(٢) ومثل قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾(٣) ومثل قوله تعالى عن العسل ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِ﴾(٤) .

ومثل قوله ﷺ **فيما رواه** أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجلا أتي النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه فقال: ﷺ أسقه عسلاً، ثم أتي الثانية فقال: اسقه

---

(١) **مواطن الحديث:**

١- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه الجزء الأول، ص٢٣٥، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه.

٢- وأخرجه الترمذي في سننه الجزء الأول، ص ١٠٠ كتاب الطهارة، باب كراهية البول في الماء الراكد عن أبي هريرة وقال: أبو عيسي هذا حديث حسن صحيح.

(٢) سورة المائدة الاية ٦

(٣) سورة المدثر الاية رقم٤

(٤) سورة النحل الآية رقم ٦٩

عسلا ثم أتاه فقال: قد فعلت فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلا فسقاه فبرأ"[1]. وقد أثبت العلم الحديث أنّ العسل يشفي من أمراض كثيرة بعضها جلدي، والأخر باطني، وغير ذلك.

ومثل قوله ﷺ عن الخل "نعم الإدام الخل" عندما طلب من أزواجه طعاما، فقلن: ليس عندنا إلا الخل، فأكل منه وقال "نعم الإدام الخل"[2].

وكان الظاهر عند شرح الحديث قديمًا، أن المدح هنا لقلة وجود طعام غيره، ليرضي به من لا يجد سواه، ثم جاء العلم الحديث فأثبت أن للخل فوائد صحية جّمة، منها فتح الشهية، ومص الالتهاب من الجسم !

فإذا مُصّت الالتهاباتُ من الجسم – وهى مصدر كثير من الأمراض – أصبح الجسم سليمًا، فإذا فتحت شهيته للأكل أصبح قوياً وهنا يظهر موطن الإعجاز العلمي وسّر المدح للخل.

---

(١) مواطن الحديث:

١- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه الجزء السابع ص ١٥٩، كتبا الطب، باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى: "فيه شفاء للناس" عن أبي سعيد رضي الله عنه، ط، كتاب الشعب.

٢- وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه الجزء الرابع ص ١٧٣٦ – ١٧٣٧، كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل عن أبي سعيد رضي الله عنه أيضا.

(٢) مواطن الحديث:

١- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه الجزء الثالث، ص ١٦٢٢، كتاب الأشربة، باب فضيلة الخل والتأدم به عن جابر رضي الله عنه.

٢- وأخرجه أبو داود في سننه الجزء الثالث، ص ٣٥٩، كتاب الأطعمة، باب الخل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

٣- وأخرجه الترمذي في سننه الجزء الرابع، ص ٢٧٨، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الخل عن جابر بن عبد الله، وقال أبو عيسي هذا حديث صحيح.

وفيما يتعلق بالكونيات:

فقد جاءت آيات كثيرة تتناول الكون وما خلق الله فيه من سماء وما فيها وارض وما فيها للعبر والوقوف على آيات الله الكونية وكذلك اشتملت أحاديثه ﷺ على جانب يتناول الإعجاز العلميّ المتعلق بالكونيات مثل خلق السماوات والأرض وظاهرة الكسوف والخسوف للشمس والقمر،وانشقاق القمر والرياح والمطر وكثرة الزلازل و تحرك الجبال وتقارب الزمن.... الخ

فقد جاء الإعجاز العلمي في قوله تعالى ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[١] كما جاء قوله ﷺ: "**أن الشمس القمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته**"[٢].

وذلك بمناسبة موت أبنه إبراهيم حيث قال: الناس ما قالوا: فدل الحديث على وقوع ظاهرة الكسوف والخسوف، وهي ظاهرة يمكن تفسيرها، وقت صدور هذا القول النبوي بأنها شئ من الأساطير، وجاء العلم الحديث ففصل هذه الظاهرة مع بيان موقع الشمس والقمر عند حدوثهما وغير ذلك.

كما جاء الإعجاز العلمي في إخباره ﷺ عن كثرة الزلازل قبل قيام الساعة

---

(١) سورة يس الآية ٣٨

(٢) مواطن الحديث:

١- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه الجز الثاني، ص ٥٢٦، كتاب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس عن المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه).

٢- وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه الجزء الثاني، ص ٦١٩، كتاب الكسوف، باب الخوف عن عائشة (رضي الله عنه)، ص ٦٣٠، باب ذكر النداء لصلاة الكسوف "الصلاة جامعة" عن المغيرة بن شعبة.

٣- وأخرجه الإمام النسائي في سننه الجزء الثالث، ص ١٣٤، كتاب كسوف الشمس والقمر عن إبي بكرة، ط ، المصرية بالأزهر.

حيث قال: "لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقـارب الـزمن، وتظهر الفتن ويكثر الهرج، وهو القتل"[1].

وقد قال ﷺ ذلك في وقت كان السائد عند الكثيرين من النـاس أن الأرض محمولة على قرن ثور فإذا نقلها من قرن إلى أخر اهتزت وتزلزلت!

وجاء العلم الحديث ليؤكد حدوث ظاهرة الزلازل، وأسباب وقوعها، وتحديد بعض المناطق في العالم أكثر وقوعا فيها دون سواها، ومحاولة صناعة الأجهـزة العلمية التي يمكنها أن تعطي إشارة عن احتمال وقوعها غالبا، وفق قانون الأسباب، وإن كان البدء الحقيقي لها مازال غيبا يعلمه الله وحده، إذ إنه ـ حتى الآن ـ لـمُ تكتشف الأجهزة التي تحدد بدء الوقوع، وهكذا يتضح مما سبق أن الإعجاز العلمي في القران الكريم وفى أحاديثه ﷺ قائم وموجود، فقد تكلم ﷺ عن أشياء جاء العلـم الحديث ليقررها بعد أربعة عشر قرنا من الزمان في وقت كان الجهل بالعديد مـن الحقائق العلمية يخيم على العالم بأسره.

أهمية الإعجاز العلميّ فى هذا العصر :

هناك أسباب تدعو إلى أهمية تناول قضايا وأبحاث الإعجاز العلمـيّ فـى القران والسنة فى هذا العصر على النحو التالى :

السبب الأول: أن نبوّة الرسول ﷺ وهى نبوة تواترت في إثباتها نـصوص التوراة والإنجيلُ والقرآن، قد نالتها أقلام كثير من المستشرقين، بالطعن في سـيرته ﷺ ، وذلك بإلقاء الشبه الباطلة، مثل الزعم بأنه تلقي أفكاره ﷺ من رهبان النصارى

---

(١) مواطن الحديث:

أخرجه الإمام البخاري في صحيحه الجزء الثاني، ص ٥٢١، كتاب الاستسقاء، باب ما قبـل في الزلازل والآيات عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

وشعراء العرب وأحبار اليهود، بقصد نفي نزول الوحي إليه ﷺ.

وشبه المستشرقين لها خطرها الداهم، وشرها المستطير، إذ تعد كتاباتهُم المصدرَ الرئيسيَّ الذي يغذي عقولَ أهلِ الغربِ، ويصنع أفكارهم عن الإسلام.

وشر من ذلك، أن بعض المثقفين من المسلمين، ممن عندهم خُواء إيماني، يرون في كتابات هؤلاء المستشرقين المتعصبين الجاحدين زاداً لثقافاتهم.

ومن هنا يكون تناول موضوع الإعجاز العلميّ في القران الكريم وأحاديث الرسول ﷺ إثباتا لقضية الوحي إليه، وتصحيحا لمفاهيم المعجبين بكتابات هذا الصنفِ من المستشرقين.

السبب الثاني: صلة الإعجاز العلميّ بمنهج الدعوة إلى الإسلام:

إذ تعد هذه الصلة في هذه الأيام، من أوثق الصلات بمنهج الدعوة لأن الخطاب الإسلامي لكل البشر، ومن ثم لا يلزم أن يأخذ صورة واحدة لا تتغير على مدى تاريخ الدعوة، بل يلزم أن يكون مواكبًا لظروف كل عصر من عصورها، وحال المخاطبين بها، وفق الضوابط التي وضعها الإسلام وخاصّة أن هذا العصر، الذي نعيشه الآن ــ قد بلغ الذروة في العلوم الحديثة، التي أحدثت ثورة في عالم الاتّصالات ونقل المعلومات، والتقاء الحضارات، والتأثير المباشر في ثقافات الأمم المختلفة، مما لا يجعل قيمة كبيرة للأساليب الإنشائية عند مَنْ بنوا حياتهم على هذه "التكنولوجيا" المتقدمة، وأصبح المنطق يقرر مخاطبة هؤلاء بنفس اللغة التي يعيشونها.. لغة التقنيات العلمية خاصّة لدي العقل الغربي.

ورسالةُ الإسلام رسالةٌ عالميةٌ إنسانيةٌ ربانيةٌ في منهجها ومقصدها لكلّ الناس على اختلاف أجناسهم، ومن ثم يعد إبراز قيم الإسلام وتعاليمه بما يتوافق مع عصر "الكمبيوتر والإنترنت" وعصر الفضاء وما يستجد من اكتشافات علمية أمراً

مفروضًا ومحتمًا في صحة دعوة ونبوة النبى الخاتم ﷺ ، بل تحدياً لكل منكر لها، وبهذا تصبح الحاجة ماسّة لإبراز الإعجاز العلمّي في القران الكريم وأقواله ﷺ .

السبب الثالث : الإعجاز العلميّ في القران والسنة يعد بمثابة المعجزة المتجددة لكل جيل من الناس:

بينما كانت معجزاتُ الرسلِ السابقين (عليهم السلام) ماديةً ومقصورةً على المشاهدين لها فحسب، ومن حق من لم يشاهدها أن يصدق بها أو لا يصدق، فقد جعل الله (تعالى) معجزته ﷺ – بالإضافة إلى المعجزات الماديّة التي جرت على يديه – باقية بقاء الزمن في القرآن الكريم وأقواله ﷺ ، يكشف العلم الحديث تباعاً ما تحويه نصوص كل منهما من كنوز وأسرار كونية، تكون بمثابةِ المعجزةِ الباقيةِ المتجددةِ أمام العقول الباحثة عن أسرار العلوم الكونيّة والتجريبية، وتحمل في نفس الوقت البرهان والدليل على صحّة نزول الوحي وإثبات النبوة.

وقد شاء الله (عز وجل) ذلك، لكون الرسالةِ الإسلامية خاتمةَ الرسالاتِ الإلهيةِ، وموجهةً لكل الناس في كل عصر ومصر إلى قيام الساعة، لاشتمالها على ما يصلح شئون البشر قاطبة وقت تطبيقها التطبيق الأمثل القائم على الفهم الجيد والإخلاص التّام لله رب العالمين.

* * *

الفصل الأول : مفهوم الإعجاز العلميّ

ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الإعجاز العلميّ

ويتناول النقاط التالية :

١- الإعجاز العلميّ فى اللغة .

٢- الإعجاز العلميّ فى الاصطلاح.

٣- الفرق بين الإعجاز العلميّ والتفسير العلميّ للقرآن الكريم وآراء العلماء فى ذلك.

٤- نموذجان للإعجاز العلميّ فى القران والسنة .

المبحث الثانى

ويتناول الأسس التى يجب مراعاتها عند تناول قضايا الإعجاز العلميّ فى القرآن والسنة.

المبحث الثالث

ويتناول نبذة تاريخية عن الإعجاز العلميّ فى القرآن والسنّة.

***

المبحث الأول

مفهوم الإعجاز العلميّ

أولاً: الإعجاز العلميٌّ في اللغة:

يتكون التعبيُر المذكوُر من كلمتين هما: كلمةُ الإعجاز، وكلمةُ العلمِيّ، نسبة إلى العلم، ولمعرفة المدلول اللغوى لهذا التعبير؛ علينا أن نرجع إلى معاجمِ اللغة لنستوضحها ونسترشد بما جاء فيها على النحو التالي:

١- جاء فى لسان العرب في مادتى: أعجز، علم

أ) **أعجز:** العجز نقيض الحزم، عَجَزَ عن الأمر يعجِزُ وَعَجِزَ عجزًا فيهما ... والعجز الضعف، والإعجاز: الفوْتُ والسبقُ، يقال: أعجزه فلان، أي فاته ، وأَعجازُ الأمور: أواخرها[١].

ب) **علم:** العلم نقيض الجهل، عَلِمَ علمًا، ورجلُ عالِمُ وعَلِيمُ من قومٍ علماء ـ وعلمت الشيء أعلمه علمًا: عرفتُه، وعلم بالشيء: شعر به[٢].

٢ - ورد في القاموس المحيط:

أ) **أعجز:** "...... والعجزِ والمعجِزَ والمعجِزَةُ وتفتح جيمهما، والعَجَزَان محركة، والعُجُوز بالضم. الضعف والفعل كضَرَب وسَمِع"[٣].

ب) **علم:** "علمه كسمعه، علمًا – بالكسر – عرفه، ورجل عالم، وعليم، ج

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة (عجز) الجزء الرابع، ص٢٨١٦، ط١، دار المعارف بمصر.

(٢) المرجع السابق، مادة (علم)، الجزء الرابع، ص٣٠٨٢، نفس الطبعة.

(٣) انظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي، الجزء الثالث، ص١٨٧، مادة (عجز)، دار الجيل، بيروت، دون ذكر سنة الطبع.

علماء، وعلام كجهال، وعَلّمه العلم تعليمًا[1].

٣ - جاء في المعجم الوسيط ما يلى:

أ) **أعجز:** "أعجز فلان: سبق فلم يدرك، والشيء فلانًا فاته ولم يدركه، ويقال أعجز أى صيره عاجزًا[2].

ب) **علم:** "أدرك الشيء بحقيقته ... ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة كعلم الكلام وعلم النحو، وعلم الأرض، وعلم الكونيات، وعلم الآثار، ج علوم. وعلوم العربية المتعلقة باللغة العربية كالنحو، والصرف، والمعانى، والبيان، والبديع، والشعر، والخطابة، وتسمى بعلوم الأدب، ويطلق العلم حديثًا على العلوم الطبيعية التي تحتاج إلى تجربة ومشاهدة واختبار سواء كانت أساسية كالكيمياء، والطبيعية، والفلك، والرياضيات، والنبات، والحيوان والجيولوجيا، أو تطبيقية كالطب، والهندسة، والزراعة، والبيطرة، وما إليها"[3].

ومما سبق نقله من المعاجم .. يتبين أن تعبير (الإعجاز العلميّ) من حيث مدلوله اللغوى يعنى: الفوت والسبق في إدراك المعلومات على مستوى العلوم النظرية والعملية.

ثانيًا: الإعجاز العلميّ في اصطلاح العلماء:

حفل القرآن الكريم في كثير من آياته بإشارات علميّة عديدة لم تكن معلومة

---

(١) المرجع السابق، الجزء الرابع، ص١٥٥، مادة (علم).

(٢) المعجم الوسيط إعداد الدكتور أنيس إبراهيم وآخرين، الجزء الثاني، ص٥٨٥، ط١، دار إحياء التراث العربي.

(٣) المعجم الوسيط، الجزء الثاني، ص٦٤٤.

في عصر نزول الرسالة ولا قبله، كما حفلت السُنة النبوية الصحيحة أيضًا بكثير من هذه الإشارات العلمية، التي جاءت على لسان رسول الله ﷺ ، ولم تكن كذلك معلومة في زمن الوحى إلى رسول الله ﷺ ، وما حفل به الوحي المتلو وغير المتلو من هذه الإشارات هو ما يطلق عليه في عصرنا الحاضر بالإعجاز العلميّ في القرآن والسُنة.

وبادئ ذى بدء أسوق هنا آراء بعض العلماء حول مفهوم هذا المصطلح:

مفهوم هذا المصطلح:

١ - يقول الشيخ عبد المجيد الزنداني[(١)]:

"إذا كان التفسير العلميّ للقرآن هو الكشف عن معانى الآية في ضوء ما ثبت صحته من نظريات العلوم الكونية، فإن الإعجاز العلميّ هو إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيرًا، وثبت عدم إمكان إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ[(٢)].

٢ - يعرف الدكتور/ زغلول النجار[(٣)] الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

---

(١) الشيخ عبد المجيد الزنداني أحد علماء اليمن الإجلاء، وأحد الأعضاء المؤسسين لهيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بمكة المكرمة، وأول من تولى الأمانة العامة لهذه الهيئة، أقترن اسمه بالإعجاز العلمي من خلال محاضراته التي يلقيها والكتب التي يؤلفها، ويعمل الآن رئيساً لجامعة الإيمان بصنعاء ــ جزاه الله خيراً ــ.

(٢) المعجزة العلمية للقرآن والسنة: بحوث المؤتمر الأول للإعجاز العلميّ في القرآن والسنة، إسلام أباد باكستان، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٧م،وراجع الإشارات العلمية في القرآن الكريم د. كارم السيد غنيم، ص٥٠، ط دار الفكر العربي، القاهرة.

(٣) ولد في قرية مشال مركز بسيون محافظة الغربية في ١٩٣٣/١١/١٧ بجمهورية مصر العربية، وحصل على بكالوريوس العلوم من جامعة القاهرة سنة ١٩٥٥م، ثم نال درجة الدكتوراه في الجيولوجيا من جامعة ويلز ببريطانيا سنة ١٩٦٣م، ومنحته الجامعة درجة=

فيقول: يقصد به سبق هذا الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره، التي لم يتمكن العلم المكتسب من الوصول إلى فهم شيءٍ منها إلا بعد قرون متطاولة من تنزيل القرآن الكريم تزيد عن عشرة قرون كاملة في أقل تقدير لها، ولا يمكن لعاقل أن يتصور لهذه الحقائق العلمية مصدرًا غير الله الخالق (سبحانه وتعالى)، وفي إثبات ذلك تأكيد أن القرآن الكريم هو كلام هذا الإله الخالق، وتصديق للنبى والرسول الخاتم ﷺ في نبوته ورسالته، وفي التبليغ عن ربه"[1].

ويعرف الأستاذ/ كرم نجيب الأغر الإعجاز العلميّ في القرآن والسنة فيقول:

"مطابقة معانٍ كثيرة ومتوافرة، صريحة في دلالتها من الكتاب والسُنة لحقائق علمية غير معلومة زمن التنزيل، ولا تُدرك إلا بالتجربة أو وسائل ماديّة؛ لتثبت صدق الرسالة التي جاء بها النبى محمد ﷺ من عند الله (عز وجل)[2].

= زمالتها للأبحاث فيما بعد الدكتوراه (١٩٦٣ ، ١٩٦٧)، وله أكثر من مائه وخمسين بحثًا ومقالًا منشورًا، وعشرة كتب نشرت في كل من بريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وبيروت والكويت، والسعودية، وقطر، ومصر.

ثم عُيّن مديرًا لمعهد (مارك فيلد) للدراسات العليا ببريطانيا، وقد أشرف على أكثر من أربعين رسالة ماجستير ودكتوراه في الجيولوجيا في مصر، والسعودية، والخليج العربي، هذا فضلًا عن كونه عضوًا مؤسسًا بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، وعضوً ا للجنة الاستشارية العليا لهيئة الإعجاز برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ومستشار مجلتها (الإعجاز العلمي) (٢٠٠٧م)، كما أنه الآن يشغل رئاسة لجنة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف بمصر.

(١) الأرض في القرآن الكريم، ص٦٩، ط دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) إعجاز القرآن فيما تخفيه الأرحام، ص١٧، ط١ دار المعرفة بيروت، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٥م.

وعلى ضوء هذه التعريفات يكون بوسعى أن أقول الإعجاز العلميّ في القرآن والسُنة بأنه:

"تلك الإشارات التي تحملها نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة الثابتة عن الرسول ﷺ ، وأثبت البحث العلميّ التجريبيّ صحة ما تحمله هذه النصوص، دون أن تكون معلومة في عصر نزول الوحى إلى رسول الله ﷺ ، الأمر الذى يثبت صحة نزول الوحى، وصدق الرسول الخاتم ورسالته معًا، ومجال تلك الإشارات هى الحقائق العلميّة المجرّدة دون النظريات، إذ النظريات وجهات نظر قابلة للصواب والخطأ، ارتقت فوق مرتبة الفروض ولم ترق إلى مرتبة الحقيقة العلمية، ومن ثَمّ فهى لا تصلح أن تكون دليلًا في ميدان الإعجاز العلمى، الذى هو محور موضوع البحث؛ لأنّ النظريات العلمية عرضة للتغيير من آنٍ لآخر، بجهود العلماء، وتقدم أبحاثهم.

ثالثًا: هدف الإعجاز العلميّ في القرآن والسُنة:

المقصود من تناول الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم أو السُنة المطهرة، تلك الإشارات العلمية التي تحملها الآية أو الحديث، وهذا في حد ذاته يوقف الإنسان على عظمة وقدسية مصدرها؛ فيزداد المؤمنون إيمانًا، وتأخذ بيد غير المؤمنين إلى الوقوف على تعاليم الإسلام العظيمة، وبالتالي تفتح الطريق أمام دراسته، والإيمان به عن اقتناع ويقين(١)، خاصة أن هذا العصر الذى نعيشه عصر التقنيات العلمية والثورة العلمية بكل معانيها.

إنه عصر (الكمبيوتر والانترنت والليزر)، ولا مجال غالبًا لكلام الإنشاء

---

(١) ذكرتُ نماذج لبعض من أسلم بسبب سبق القرآن والسنة في مجال الإعجاز العلمى، انظر ص ٩٧ من البحث .

أو القصص أو المرويات، التي قلّما تروق لعقول الباحثين التجريبيين في هذا العصر، وبخاصّة غير المؤمنين بالإسلام، والذين ينظرون إليه ـ لعدم وقوفهم على حقائقه الناصعة وهديه القويم في الإصلاح ـ على أنه دين يصلح لعصر الإبل والتحركات بالدوابّ من الحيوانات ، دون الحاجة إليه في عصر الصواريخ والأقمار الصناعية ومركبات الفضاء، وتناسوا أن الإنسان هو الإنسان بفطرته وبشهواته وأهوائه وغرائزه وطبائعه، و من ثم فهو لا يصلحه دائمًا إلا هدى السماء الصحيح، هذا فضلاً عن كون الإعجاز العلميّ في القرآن والسنة يكشف عن حقيقة هامة ألا وهي: أن نصوص القرآن والسّنة لا يتعارضان مع الحقائق العلميّة المجرّدة؛ إذ ليس فيهما ما يتناقض ويتضارب مع حقائق العلم ومسلماته، بل كلّما تقدم العلم كشف عن المزيد مما يحويانه من كنوز عظيمة ودقائق لطيفة، تُرسّخ الإيمان في الإنسان، وتدعو إلى اليقين في صحّة هدى الوحي المنزل على رسول الله ﷺ ، مع الأخذ في الحسبان أن كلًا من القرآن والسّنة النبويّة كتابا هداية وتهذيب للنفوس وإصلاح المجتمع في المقام الأول، ولا ينتظر منهما أن يقدما التفصيلات العلمية الدقيقة، فذلك متروك لقرائح العلماء وحقول التجارب، والإشارة هنا أقوى من العبارة.

يقول الدكتور/ كارم السيد غنيم:

"إذا كانت هذه الإشارات العلمية الواردة في القرآن تحتاج إلى الدراسات المتعمقة والبحوث الرصينة، فإن الكشف عن جوانب الإعجاز العلمي في هذه الآيات ليس هو الغاية، بل هو وسيلة فعالة لبلوغ غاية نبيلة، وسيلة تختلف من الشكل – لا من حيث المنهج والجوهر – باختلاف فئات الناس، فإن كانوا من المسلمين كانت الغاية هي تثبيت العقيدة لديهم وعمهم بفيوضات قرآنية لم تكن معلومة لغيرهم من السابقين، وإن كانوا غير مسلمين فليجردوا عقولهم من الزيف،

ويخلصوا أنفسهم من الزيغ - زيف المذاهب وزيغ الأهواء - ولينظروا فيما احتوته هذه الآيات القرآنية من مسائل كونيّة وأسرار طبيعيّة، ليصلوا في النهاية إلى الحقيقة التي حجبها دخن ذلك الزيف وسترها ظلام الزيغ، الحقيقة الأبديّة وهي أن القرآن كتاب إلهي أُحكِمت آياته، كتاب نزل من عند الله الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الخالق البارى المصور المبدع المهيمن، على رسول هو آخر الرسل والأنبياء محمد ﷺ[1].

رابعًا: الفرق بين الإعجاز العلميّ والتفسير العلميّ للقرآن الكريم:

يراد بالتفسير العلميّ عند المؤيدين له من العلماء، الاعتماد على الراجح من النظريات العلمية في تفسير القرآن الكريم ، ما لم تتيسر الحقيقة العلمية وهذه مجموعة من آرائهم:

١ - يقول الشيخ عبد المجيد الزندانى عن التفسير العلمي:

"الكشف عن معانى الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية"[2].

---

(١) الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق، تأليف الدكتور/ كارم السيد غنيم، ص١٥، ط دار الفكر العربي، ط١، ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م، القاهرة.
ولد المؤلف سنة ١٩٥١ بمحافظة الشرقية، وقد حصل على درجتى الماجستير والدكتوراه في علم الحشرات، ويعمل أستاذاً في قسم علم الحيوان بكلية العلوم جامعة الأزهر الشريف، له عشرون كتاباً مطبوعاً بمصر، وله أكثر من ثلاثين حلقة بالإذاعة المصرية وخمس حلقات بالتلفزيون المصرى حول الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم والسنة النبوية، يشارك في المؤتمرات العلمية داخل مصر وخارجها (انظر ص٦٤٣ من المؤلَّف المذكور باختصار وتصرف).

(٢) تأصيل الإعجاز العلميّ في القرآن والسُنة، ص٢٥، من أبحاث المؤتمر العلميّ الأول للإعجاز العلميّ في القرآن والسُنة المنعقد في إسلام أباد ــ باكستان، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٧م، من مطبوعات هيئة الإعجاز العلميّ بمكة المكرمة.

٢- ويرى الدكتور زغلول النجار :

أنّ المقصود من التفسير العلميّ للقرآن: "توظيف كل المعارف المتاحة للإنسان في كل عصر من العصور، وفي مختلف مجالات الدراسات العلمية البحتة منها والتطبيقية، في حسن فهم الآية القرآنيّة، وذلك لأن الآيات الكونية في كتاب الله (تعالى) ترد كلها في صياغة ضمنية لطيفة، يفهم منها أهل كل عصر معنى معيناً، على ضوء المعارف المتاحة لهم، وتظل هذه المعانى المتتالية للآية الواحدة تتسع باتساع دائرة علم الإنسان في تكامل لا يعرف التضاد"[١].

وبعد هذين التعريفين للتفسير العلميّ للقرآن الكريم وبمقارنتها بما سبق من تعريف للإعجاز العلميّ يتضح لنا الفرق الجلّيّ بينهما.

وقد لخصه الدكتور أحمد محمد عبد القادر حين قال:

"إنّ الأول (يعنى التفسير العلميّ للقرآن) لا يشترط فيه التحقق من القضية العلمية المراد بحثها أو تفسيرها، فيفسرها المفسر بما ظهر له من علوم ومعارف أتيحت له في عصره، وبالتالي فهو مجرد تفسير واجتهاد لا يصل إلى مرتبة الإعجاز، أما إذا تحققت هذه القضية وأصبحت من الحقائق العلمية المسلم بها، والتي لا تقبل الشك انتقلت من مرحلة التفسير إلى مرحلة الإعجاز، وبالتالي فكل إعجاز علمى تفسير علمى، وليس العكس أى ليس كل تفسير علمى إعجازًا علميًا"[٢].

أقول: وممّا سبق عرضه يتبين أنّ الإعجاز العلميّ غير التفسير العلميّ،

---

(١) مجلة الوعى الإسلامى، ص١٥، العدد ٤٢٤، ذو الحجة ١٤٢١هـ، مارس ٢٠٠١م، الكويت.

(٢) آيات الله في الجبال وصلتها بالدعوة إلى الله تعالى، ص١٤، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بالقاهرة، جمادى الآخرة ١٤١٢هـ، ديسمبر ١٩٩١م.

حيث إن الإعجاز العلميّ يعنى الإشارات إلى قضايا علميــة كونيــة وردت فــي نصوص الوحى، وبعد عدة قرون أكدت التجارب كونها حقائق علمية تعلــو علــى النظريات والفروض.

بينما التفسير العلميّ يعنى قصر التفسير على ما ترجح نظريته، إن لم توجد الحقيقة العلميّة، وقد يكشف العلم بطلانه فيما بعد، أو ترجيح غيره عليه، مما يفقــد التفسير العلميّ للقرآن قيمته، لأن مقصود القرآن هداية البشر، وفق مــنهج إلهــى حكيم قائم على الوحى، يهذب غرائز النفس ويجعلها منسجمة مع الفطرة النقية فــي ظل عقيدة التوحيد اللائق بجلال الله (عزّ وجلّ)، فإذا اقتصر التفسير على النظريات العلمية الراجحة في حينها أدى إلى فقدان الهدف عند ظهور غيرها.

ومن هنا فإنّ القرآن الكريم لا يكون في حاجة إلى تفسيره مؤقتاً بالنظريات عند فقد الحقائق العلمية، لأن فيه العديد من وجوه الإعجاز الأخــرى: كالإعجــاز الغيبي والتشريعي والتاريخي والبياني والبلاغي: الأمر الذي يؤكد من جهة على أن القرآن وحي الله تعالى إلى نبيه ﷺ ، ويؤكده من جهة أخــرى علــى أن القــرآن الكريم لا ينبغي تفسيره بالنظريات العلمية.

وما ينطبق على القرآن الكريم يصدق بالتالي على السنة النبوية الــشريفة، ومن ثَمّ فلا يصح تفسير أحاديث الرسول ﷺ التــي تحمــل الإشــارات العلميّــة بالنظريات أو الفروض ولكن تفسر بالحقائق العلمية المسلم بها.

خامساً: موقف العلماء من التفسير العلميّ للقرآن:

انقسم العلماء تجاه هذا التفسير إلى فريقين :

فريق يؤيد، وفريق ينكر ويرفض، ولعل المقام يسمح بعرض وجهة نظــر الفريقين بإيجاز شديد :

أولا: رأي المنكرين:

هناك كثيرون من العلماء ينكرون الاتجاه، تفسير القرآن بالتفسير العلميّ.

أ) ومن العلماء المتقدمين الذين يعارضون الأخذ بالتفسير العلميّ للقرآن الكريم أبو إسحاق الشاطبي[1]ـ يقول:

"إن كثيرين من الناس تجاوزوا الحدّ في الدعوة على القرآن ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات، والتعاليم، والمنطق وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها.

وعلى هذا فإن السلف الصالح ـ من الصحابة والتابعين ومن يليهم ـ كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلّم أحد منهم في شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم وما ثبت فيه من أحكام التكاليف، وأحكام الآخرة وما يلي ذلك، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر؛ لبلغنا منه ما يدلّ على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم"[2].

ب) ومن العلماء المتأخرين الذين يعارضون الأخذ بالتفسير العلميّ للقرآن الكريم الشيخ/ محمود شلتوت، والدكتور/ محمد حسين الذهبى، والشيخ/ محمد الغزالى، والشيخ/ محمد المدنى، والشيخ/ أمين الخولى وغيرهم، وأكتفى بذكر نموذجين فقط خشية الإطالة.

النموذج الأول:

يرى الشيخ (محمود شلتوت) خطأ الاتجاه إلى التفسير العلميّ للقرآن، فيقول:

"هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك، لأن الله لم ينزل القرآن ليكون

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبى الأندلسي ت (٧٩٠هـ).
(٢) الموافقات في أصول الشريعة، ج٢، المكتبة التجارية، الشرق الأدنى، ص٧٩.

كتابًا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، ودقائق الفنون، وأنواع المعارف.

وهي خاطئة من غير شك؛ لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلاً متكلفًا يتنافى مع الإعجاز، ولا يسيغه الذوق السليم.

وهي خاطئة؛ لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأى الأخير، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غدًا من الخرافات.

فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة، لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيها، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفًا حرجًا في الدفاع عنه.

فلندع للقرآن عظمته وجلالته، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته، ولنعلم أن ما تضمنه من الإشارات إلى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة؛ إنما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر؛ ليزداد الناس إيمانًا مع إيمانهم، وحسبنا أن القرآن لم يصادم ــ ولن يصادم ــ حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول"[١].

النموذج الثاني:

ويصدع الشيخ محمد الغزالي[٢]– رحمه الله– برأيه في هذه المسألة، فيقول:

---

(١) تفسير القرآن، ص١١، دار القلم، بيروت، والمؤلف هو الشيخ محمود شلتوت ولد عام ١٨٩٢م، بقرية بني منصور البحيرة التحق بمعهد الإسكندرية الديني ١٩٠٦م، وفي عام ١٩٢٧م عين مدرساً بالقسم العالي بالأزهر، في عام ١٩٣١م عين مدرساً بكلية الشريعة ثم وكيل لها وفي عام ١٩٥٨م عين شيخاً للأزهر إلى وفاته سنة ١٩٦٣م، ومن مؤلفاته الإسلام عقيدة وشريعة، والمسئولية المدنية والجنائية في التشريع الإسلامي وغير ذلك، انظر الموسوعة العربية الميسرة ص١٠٩١ ط، القاهرة سنة ١٩٦٥م.

(٢) الشيخ محمد الغزالى علم من أعلام الدعوة في العصر الحديث خلال القرن العشرين، ولد بقرية نكلا العنب بمحافظة البحيرة سنة ١٩١٧، ودرس في الأزهر الشريف، وحصل على=

"وعلى أية حال فإن النظريات العلمية لا تفسر بها الآيات القرآنية، ذلك ما رآه علماؤنا، فإن النظريات قابلة للتغيير، ولا نعرض القرآن لظنون رجراجة، أمّا الحقائق العلمية فإنها إذا وافقت كتابنا كانت تفسيرًا حسنًا له، بل كانت تفسيرًا عمليًا لقوله (تعالى): ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)﴾[(١)].

ثانيًا: رأي المؤيدين:

هناك من العلماء القدامى والمحدثين من يرون جواز الأخذ بالتفسير العلميّ للقرآن، ففي ذلك دلالة متجددة على كون كتاب الله (تعالى) يناسب كل عصر، ويخاطب كل جيل إلى قيام الساعة، ودلالة أيضاً على كون القرآن يحمل من خصائص الإبداع وكمال المنهج ما يروق كل عقل وفق ما برع فيه عصره من علوم، وفي ذلك برهان ساطع على أن كتاب الله (تعالى) ما هو إلا وحي إلهي يمتد عطاؤه إلى قيام الساعة.

أ) المؤيدون من العلماء المتقدمين:

هناك كثيرون من العلماء المتقدمين يرون جواز الأخذ بهذا اللون من التفسير، ويرون أنّ في القرآن علومًا جمّة، لا يقف التفسير بالظاهر على الوفاء

=شهادة العالمية، وعمل بوزارة الأوقاف حتى وصل فيها إلى درجة وكيل وزارة للدعوة، وأشتهر بالجهر بكلمة الحق ، وزادت مؤلفاته على الخمسين كتاباً، منها: من هنا نعلم، والتعصب والتسامح في الإسلام. دفن بالمدينة المنورة بعد حياة حافلة بالجهاد في ميادين التحدث باللسان والتعبير بالقلم، والتضحية بالنفس والنفيس من أجل نصرة الإسلام وتطبيق منهجه في الحياة، الباحث.

(١) سورة فصلت من الآية (٥٣) والفقرة من كتاب من هنا نعلم، ص١١٢، ط دار الشروق، القاهرة.

بها، ومرجع ذلك إلى الفهم في كتاب الله، كما أنّ القرآن اشـــتمل علـــى إشـــارات عديدة، ومن هؤلاء العلماء أبو حامد الغزالى، والإمام الرازى، وابن أبـــى الفـــضل المرسى والسيوطى وغيرهم.

يقول الأمام (الغزالى رحمه الله)[1]:

"إنّ العلوم كلّها داخلة في أفعال الله (عزّ وجلّ) وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارات إلى مجامعها، والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، ومجرد ظاهر التفـــسير لا يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظارة، واختلف الخلائق في النظريـــات والمقولات، ففي القرآن رموز ودلالات عليه، يختص أهل الفهم بدركها، فكيف يفى بذلك ترجمته وتفسير ظاهره"[2].

ب) المؤيدون من العلماء المتأخرين:

هناك من العلماء المحدثين من يرون جواز الأخذ بالتفسير العلميّ للقـــرآن؛ ليتوافق عرض القرآن مع ظروف كل عصر حسب تقدمه العلمـــى، وفـــي مقدمـــة هؤلاء الأمام.

---

(١) أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسى ولد عام ٤٥٠هـ، تتلمـذ علـــى أبـــى نـــصر الإسماعيلي بجرجان ثم أمام الحرمين، ودرس الفقه والفلسفة، ثم درّس بالمدرســة النظاميــة ببغداد سنة ٤٨٤هـ، وله مؤلفات عديدة أشهرها (إحياء علوم الدين) تـــوفى بنيـــسابور ســـنة ٥٠٥هـ، انظر ترجمته بتفصيل في كتاب (كنوز الأجداد) ص٢٦٠-٢٦٨، ط٢، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق.

(٢) إحياء علوم الدين، ج١، ص٢٥٨ ــ شركة ومطبعة عيسى البـــابى الحلبـــى، ١٣٥٨هـــ، ١٩٣٩م.

محمد عبده:[1]

نموذج للتفسير العلميّ عند العلماء المتأخرين

تفسير الطير الأبابيل بالميكروبات:

ذهبت طائفة من المفسرين المجددين إلى تجويز تأويل (الطير الأبابيل) المذكور في قول الله (تعالى): ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾[2] بأن تكون من جنس الذباب، أو البعوض، أو الميكروبات. والحجارة في قوله (تعالى): ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝﴾[3] بأن تكون هي الجراثيم التي تنقل الأمراض الفتاكة.

قال الأمام (محمد عبده): "فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض، أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحتمله الرياح، فيعلّق بأرجل هذه الحيوانات، فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه؛ فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه، وأن كثيرًا من هذه الطيور الضعيفة يُعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، وأن هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنها، وهو فِرق وجماعات لا يحصي عددها إلا بارئها"[4].

---

(١) الإمام محمد عبده أحد رجال الأزهر المعدودين، ولد سنة ١٨٤٨م، عين مفتيًا للديار المصرية وله دوره البارز في الإصلاح، توفى سنة ١٩٠٥م، راجع ترجمته في: التفسير العلميّ للقرآن الكريم في الميزان د/ أحمد عمر أبو حجر، ص١٧١، ط دار قتيبة، بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) سورة الفيل الآية (٣).

(٣) سورة الفيل الآية (٤).

(٤) أسباب الخطأ في التفسير، ج٢، ص٨٧٥، ط دار ابن الجوزى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ، الطبعة الأولى.

وعلى منهج الإمام محمد عبده المؤيد لاستخدام التفسير العلمي للقــرآن .. سار علماء كثيرون: أمثال الشيخ (محمد رشيد رضا)، والأستاذ/ مصطفى صادق الرافعى، في كتابه (إعجاز القرآن)، والدكتور/ محمد عبد الله دراز، والأستاذ/ أحمد الغمراوى، ومحمد الطاهر عاشور، في تفسيره (التحريــر والتنــوير)، والــشيخ/ طنطاوى جوهرى في تفسيره الجواهر، والدكتور/ مصطفى محمــود فــي كتابــه (القرآن محاولة لفهم عصرى).

والإسهاب في تتبع نماذج ما كتبه هؤلاء الأعلام، يوقع الباحث في هاويــة الإطالة غير المحمودة، لذلك أكتفى بما ذكرت.

نقاط مهمة مشتركة بين الفريقين المذكورين:

هناك نقاط مهمة محل اتفاق لدى الفريق المؤيد للتفــسير العلمــيّ للقــرآن والفريق المعارض لهذا التفسير.

ومن أبرز هذه النقاط ما يلي:

النقطة الأولى: أن الحقائق العلمية لا تتعارض مع القرآن؛ وبالتالي فالاستئناس بها في شرح الآيات الكونية مقبول شرعًا ومطلوب في مجال الــدعوة إلى الإسلام.

النقطة الثانية: أن الآيات القرآنية فيها إشارات تتعلق بهذه الحقائق العلمية وقــد سبقتها بقرون، وهذا ما يسمى بالإعجاز العلمى، فهــذا لا خــلاف عليه، حتى يتسنى تقديم القرآن لأهل كل عصر تقديمًا يتفق مع ما وصل إليه التقدم العلميّ المذهل خاصة في هذا العصر، وفي نفس الوقت يحمل الدليل على أنّ القرآن جاء عن طريق الوحي الإلهى، وأنّ مهمة الرسول ﷺ تنحصر في التبليغ والتبيين، قال (تعــالي):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[1].

النقطة الثالثة: الأخذ في الحسبان أن القرآن الكريم كتاب هداية وإصلاح في المقام الأول، وليس كتابًا يحوى تفاصيل العلوم الطبيعية ودقائقها، فذلك متروك لقرائح العلماء وساحات المعامل.

إنني أؤيد موقف المنكرين للتفسير العلمي للقرآن بالنظريات العلمية البحتة (أو الفروض التي لم ترق إلى درجة النظرية من باب أولى)؛ إذ هي عرضة للتغيير والتبديل، فكل يوم يكتشف العلم من النظريات ما يهدم السابق، منها الأمر الذى يصيب تفسير القرآن من خلالها بالاهتزاز، ومن ثَمَّ يكون الأمر غير مناسب على الإطلاق لجلال القرآن الكريم وقدسيته.

أمّا تفسير القرآن الكريم بالحقائق العلمية فهذا لا بأس به، بل هو عين الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

فالحقائق العلمية لا تتعارض مع القرآن من جانب وتفيد في نفس الوقت سبق القرآن إلى هذه الحقائق بقرون فضلاً عن كون القرآن كتاب هداية وإصلاح للنفس البشرية في كل أحوالها.

هذا ولا ينبغى أن يفهم أنّ موقف المعارضين لهذا اللون من التفسير ناتج عن خشية قصور القرآن في مجابهة العلم، إنما هم يرون أن النظريات العلمية قاصرة على أن ترقى إلى ما وصل إليه القرآن من حقائق في شتى الميادين العقدية والتشريعية والنفسية والعلمية والأخلاقية والتربوية.

---

(١) سورة المائدة الآية (٦٧).

سادساً: نموذجان للإعجاز العلميّ في النص القرآنيّ والنبويّ:

إن الإشارة العلمية تكون كامنة في النص القرآني أو النبوى كمون الذهب في جوف المعادن الأخرى.

فالقارئ للقرآن الكريم والأحاديث النبوية، يجد في نصوصهما ألفاظًا يقف عندها العامى من الناس فيعرف معناها وفق إدراكه في بساطة شديدة، والألفاظ نفسها يقف عندها المتخصص في العلوم المختلفة فينبهر عقله لما تحتوى عليه من معان ودروس وأسرار وحقائق علمية .. وتلك آية الإعجاز.

وإعمالاً للقول المشهور .. بالمثال يتضح المقال .. أبادر بعرض نموذجين للدلالة على وجود الإعجاز العلميّ في النص القرآني والنص النبوى على سبيل المثال:

النموذج الأول: الإعجاز العلميّ في النص القرآني:

يقول الله عز وجل في سورة يس: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[1].

إن الإنسان العادي يفهم من النص القرآني المذكور جريان الشمس في نظر العين كما يترآى لسائر الناس، وتلك حقيقة علمية لا جدال حولها.

ويفهم المتخصص في العلوم الكونية من الآية الكريمة نفسها معنى آخر من خلال رصده جرى الشمس في مدارها بتلك السرعة العجيبة التي تشد العقول.

فقد أثبت البحث العلميّ الحديث جريان الشمس بسرعات هائلة فوق التصور.

يقول الدكتور/ عاطف قاسم المليجي:

"إن الشمس تجرى أولًا ومعها الكواكب السيارة بسرعة ١٩ كيلومتر لكل

---

(١) سورة يس الآية (٣٨).

ثانية، نحو نقطة في كوكبة هرقل مجاورة لنجم يسمى (فيجا) بالإنجليزية أو النسر الواقع بالعربية، كما أنها تجرى بسرعة ٢٣٠ كيلومتر في الثانية حول مركز المجرة اللبنية، وقد أشار القرآن الكريم لهذه الحركة بقوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

وقوله تعالى أيضًا: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[2].

بالإضافة إلى جريانها مع المجرّة اللبنية ومجموعة المجرات الحالية كلها بسرعة٦٠٠ كيلومتر في الثانية في اتجاه ما يسمى بالجاذب الأعظم"[3].

وللعاقل أن يتأمل عظمة الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم عند اختيار لفظ (تجرى) بدل تسير أو تنتقل أو تتحرك أو تقفز أو أى تعبير آخر غير (تجرى)، فإن أى تعبير آخر لا يؤدى نفس الغرض ولا المعنى، وهذا اللفظ (تجرى) لا يخرج عن مفهوم العامى له، فحركة الجرى للشمس معتادة ومقررة عند الصغار قبل الكبار.

وكفى بتلك الإشارة في اختيار لفظ (تجرى) برهان على عطاء القرآن الكريم في ميدان الإعجاز العلميّ في هذه المسألة.

ولا يُنتَظرَ أن يقول القرآن: إن الشمس تجرى بسرعة كذا وكذا، فلو جاء النص كذلك لما صدقه المخاطبون بالرسالة وقت نزوله، وأصبح هذا القول من قبيل الأساطير، وخارجًا عن مألوف العقل حينئذ، إذ لم تكن هناك الأجهزة التي تكشف تحديد هذه السرعات ورصدها.

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٣٣).

(٢) سورة يس الآية (٤٠).

(٣) من روائع الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم، ص٨٣-٨٤، النهار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢١هـ ـــ ٢٠٠٠م، بتصرف.

ومعلوم أنّ من الإعجاز البلاغي للقرآن مراعاة مقتضى حال المخاطبين على مر العصور، ومن ثم يكون التعبير بلفظ (تجرى) فيه الإعجاز البلاغي والعلمى معًا!

ولسائل أن يسأل: كيف تم اختيار هذا اللفظ؟

أهى عبقريةٌ من رسول الله ﷺ عند من يزعمون أن القرآن ألّفه النبى محمد ﷺ بمعونة أهل الكتاب المعاصرين له أمثال بحيرى الراهب؟

وسيكون الجواب بالنفي؛ فإن العبقرية لا تقتضى الصعود إلى السماء لرصد حركات الشمس وجريها لو قدر ذلك. وإنما تقتضى استحواذ الأجهزة الخاصة بذلك، بينما لم تكن موجودة حينئذ.

ثم لسائل آخر أن يسأل: هل كان اختيار تعبير الجرى نتيجة علوم اكتسبها الرسول ﷺ ؟ والجواب بالنفى أيضًا، فما وجدت أجهزة الرصد إلا حديثًا، وبعد قرون من نزول الوحى إليه ﷺ ، وقد كانت معرفة هذه السرعات قبلها غيبًا محضًا، وليس هناك أى تراث حضارى لأى أمة على وجه الأرض، سجل هذه العلوم والمعارف في ذلك الوقت أو قبله.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن المعتقد القديم كان يرى الشمس ثابتة كما يقول الأستاذ سعيد ناصر الدهان:

"كان المعتقد قديمًا أن الشمس ثابتة، فجاء بعض علماء المسيحيين وقالوا: إن الشمس تتحرك، وحكمت عليهم الكنيسة بالإعدام؛ لأن كلامهم كفر في نظر الكنيسة، وتقدمت الأجيال، وأخر ما توصل إليه العلم الحديث أن الشمس تجرى[1].

---

(١) القرآن والعلوم، الأستاذ/ سعيد ناصر الدهان، ص٩٢، مطابع النعمان، النجف، الأشرف، الطبعة الأولى، ١٤٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، والاقتباس: إعجاز القرآن الكريم، د/ فضل حسن

فكيف للنبى محمد ﷺ وهو الأمى في بيئة غلبت عليها الأمية أن يعلم ذلك من تلقاء نفسه؟!؟

وبذلك لا يبقي إلا أن يكون ذلك وحيًا أوحى إليه من الله (تعالى) الذى خلق الشمس ويعلم تكوينها وسرعة جريها وهذا بعض ما تشير إليه الحكمة في اختيار اللفظ الذى يصلح لكل العقول على مر العصور.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾[1].

حقًا إنه كلام الله (تعالى) المعجز لكل العقول مع اختلاف إدراكها على مر الأزمنة وتقدم العلوم، وليس لرسول الله ﷺ إلا التبليغ كما أوحى إليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٦٧﴾[2].

النموذج الثانى : الإعجاز العلميّ فى اللفظ النبوى

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول سئل رسول الله ﷺ عن العزل، فقال: ما من كل الماء يكون الولد وإذا أراد الله خلق شى لم يمنعه شى[3].

عباس، سناء فضل عباس، ص٢٨٠، ط دار الفرقان، عمان الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م.

(١) سورة يس الآية (٣٨).

(٢) سورة المائدة الآية (٦٧) .

(٣) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب النكاح باب حكم العزل واخرجه ايضا الإمام لحمد بسنده ج٣ واخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ج٧ كتاب النكاح باب العزل كلاهما برواية ابى سعيد الخدرى

ويتناول هذا الحديث جزئيتين مهمتين:

الأولى : تتعلق بالعزل وهو قذف المنى خارج الرحم عند الجماع وقد اشتمل على تفصيل أحكامه كتب الفقه

الثانية : تتعلق بتركيب المنى وهى ذات صلة مباشرة بالإعجاز العلميّ .

وبدايةً فعلى كل عاقل أن يقف وقفة تأمل تجاه عظمة الله عز وجل فى خلقة الإنسان، فأصله بعد أبيه آدم وأمه حواء من نطفة، وهو الشيء المهين الذى لا يرى بالعين المجرّدة والمعبر عنها بالحيوان المنوى الذى يمتلك خصائص كثيرة منها الطاقة والقدرة على الحركة والتدفق ومقسم إلى رأس وعنق وذيل وكذلك بويضة المرأة التى تعتبر الشق الثانى فى الإخصاب، وقد تناول الحديث ماء الرجل خاصة، وقد أثبت العلم الحديث أن هذا الحيوان المنوي عبارة عن خلية نشطة سريعة الحركة تسبح فى سائل منوى لمسافات طويلة حتى يصل إلى البويضة، ويقوم بتخصيبها فى الثلث العلوى من قناة فالوب ويحتوى رأس الحيوان المنوى على نواه ويحيط بها قدر ضئيل من السيت بلازم، كما أثبت البحث العلميّ أن ماء الرجل يحتوى بالإضافة إلى منويات وعناصر أخرى تشارك فى عملية الإخصاب مثل مادة البروستاجلاندين[1] وغير ذلك

ولهذا الحديث دلالات كثيرة أختار منها اثنتين

الأولى : إثبات قضية نزول الوحى إلى رسول الله ﷺ

فقد أشار الرسول ﷺ فى هذا الحديث إلى أن الماء المتدفق من صلب الرجل ليس كله حيوانات منوية، كما هو المتبادر إلى الذهن، وإنما يتركب منها ومن

(١) راجع فى ذلك كتاب بيولوجية جسم الانسان للدكتور ياسين طه وآخرين ص ٣٨ – الهيئة العامة للتعليم التطبيقى الكويت ط ١ سنة ١٩٩٣ م وعلم الاجنة فى القران والسنة طبعة الهيئة العالمية للإعجاز العلميّ بمكة المكرمة

غيرها كما سبق القول آنفا.

فمن أين استقى رسول الله ﷺ هذه الحقائق العلمية التى أثبتها العلم الحديث مؤخرًا.

دعنا نضع عدة احتمالات حتى يقر العقل المجرد من الهوى والشبهات لتقرير هذه النتيجة :

١- هل عرف الرسول ﷺ هذه الحقائق العلمية عن طريق تراث حضارى سابق، وهل ورد فى أيّ حضارة قديمة كالحضارة المصرية التى سجلت بعض معارفها على أوراق البردى أو الحضارة الهندية أو الصينية... الخ مثل هذه الحقائق والجواب سيكون بالنفى، لأنه لم يعثر على شى من ذلك إلى الآن رغم الجهود الكثيفة فى البحث عن تراث الحضارات القديمة

٢- وهل ورد مثل هذه الحقائق العلمية فى الكتب المنسوبة إلى السماء فى نظر أصحابها؟ والجواب سيكون أيضا بالنفى؛ لأنه لم يوجد بها شى من ذلك، وهى مطبوعة متداولة وليس فيها أدنى إشارة إلى ذلك.

٣- وهل استقى الرسول ﷺ مثل هذه الحقائق عن طريق أحبار اليهود، أو النصارى، أو شعراء العرب، كما يزعم غلاة المستشرقين أن النبى ﷺ تعلم على أيديهم والجواب أيضا بالنفى، إذ لو حدث ذلك لسجلوه تيَّهابهم أن علموا الرسول ﷺ وأيضا لأظهروه إبطالا لدعواه الرسالة والنبوة، ولكنّ شيئا من ذلك لم يحدث، ولم يتناقله أحد، وإنّما هى مجرد شبهات يضعها هؤلاء الغلاة من المستشرقين تجنيًا وافتراءًا على رسول الله ﷺ.

٤- هل دخل النبى ﷺ جامعة أو معملاً ليحلل الماء الدافق "المنى"؟ والجواب أيضا بالنفى.

فالعرب كانوا وقتها أمّةً أميةً، والرسول ﷺ أيضا أمى لكنها أميـــة علمـــت وستعلم البشرية قاطبة بما أوحى الله تعالى إليه، هذا فضلا عن كون الأجهزة التى يحلل بها المنى قريبة عهد بالاكتشافات – اختراعا وصناعة .

وإذا فلم يبق إلاّ الاحتمال الأخير ، وهو الوحى الذى اختص الله تعالى بـــه الرسول جميعا وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ .

والوحى كما هو معلوم يمثل العمود الفقرى بالنسبة للنبوة أو الروح للجسد!

وكم ادعى النبوة أناسٌ عبر التاريخ، ولكنهم عجزوا أن يثبتـــوا أن الـــوحى أرسل إليهم، ومن ثم فمن أيقن بنزول الوحى إليه ﷺ لزمه أن يتبعه فى كل ما جاء به وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾[1].

الدلالة الثانية

إشارة نبوية من رسول الله ﷺ إلى أن تدرس أمته الطب وتبلغ فيه أحدث ما يصل إليه، فأول آية من القران تتضمن ذلك فقد جاء قولـــه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾.

وقول الرسول ﷺ لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الـــداء بـــرأ بـــأذن الله عز وجل وفى رواية علمه مَنْ علمه وجهله من جهله".

وكيف يعرف الطور الثانى وهو العلق بعد النطفة والداء والـــدواء إلا مـــن خلال دراسة الطب وحذقه .

فالإسلام للدنيا والآخرة للجسم والروح للعبادة والحضارة .

لكنه يحتاج دائما إلى من يفهمه فهما جيدا ويعرضه عرضا حسنا.

وهذا ما تحتاجه الدعوة الآن.

---

(١) سورة النجم الايات من ٣ –٦

المبحث الثانى

الأسس التى يجب مراعاتها عند تناول الإعجاز العلميّ فى القران والسنة

وهى أسس وضعها العلماء المشتغلون بقضايا وأبحاث الإعجاز العلميّ فى القران والسنة ، صونا لقدسيتهما من الخروج إلى التأويل المتعسف وتحميل النصوص مالا يراد منها

وهى على النحو التالى :

الأساس الأول:

تذكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة.. أن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وحي الله إلى الرسول الخاتم ﷺ.

ومعروف عند أهل العلم بالإسلام أنّ القرآن الكريم لفظه ومعناه من عند الله تعالى، وأن السنة قد أوحى بها أيضًا إلى رسول الله ﷺ بيد أن الله (تعالى) قد أذن لرسوله ﷺ أن يصوغ ألفاظها من عند نفسه ﷺ وفي القرآن الكريم والسُنة المطهرة ما يؤيد ذلك.

فعن القرآن يقول الله (تعالى): ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[1].

وعن السنة يقول الله (تعالى): ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[2].

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3].

---

(١) سورة الشعراء الآيات (١٩٢ - ١٩٥).

(٢) سورة النجم الآيات (٣ - ٤).

(٣) سورة الحشر من الآية (٧).

ويقول (عز وجل): ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾[1].

يقول الإمام الشافعي[2] ــ رحمه الله ــ بعد استقصائه للآيات القرآنية الكريمة المبينة لمهام الرسول ﷺ "ذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سُنة الرسول ﷺ ؛ لأن القرآن إذا ذكر واتبعته الحكمة، فلم يجز ــ والله أعلم ــ أن يقال الحكمة هاهنا إلا سُنة رسول الله ﷺ[3].

ومن الأدلة أيضًا على نزول الوحى بالسُنة على رسول الله ﷺ قوله ﷺ **(ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه)**[4].

وكفى شهادة القرآن لرسول الله ﷺ حين قال الله (تعالى) في حقه : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٣١).

(٢) الإمام الشافعى: أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع يلتقى مع رسول الله (ﷺ) في عبد مناف، ولد بغزه وقيل بعسقلان سنة خمسين ومائة وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين.

حفظ القرآن الكريم ثم الموطأ وعمره عشر سنوات ثم تتلمذ على الإمام مالك بالمدينة، مؤسس المذهب المعروف، ومن مؤلفاته الأم في الفقه الشافعى، والرسالة في أصول الفقه، جاء إلى مصر في آخر حياته وقضى بها خمس سنوات، توفى عام ٢٠٤هـ رحمه الله تعالى.

انظر ترجمته: المجموع شرح المهذب لأبى زكريا محيى الدين النووى، الجزء الأول، ص٧-٨ باختصار وتصرف، ط دار الفكر.

(٣) الرسالة للأمام الشافعى، ص٨٧.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، الجزء الرابع، ص١٩٩، كتاب السُنة، باب لزوم السُنة عن المقداد ابن معدى كرب حديث رقم ٤٦٠٤، ط دار الحديث، القاهرة.

(٥) سورة النجم الآيات (٣ - ٤).

الأساس الثاني:

أنّ القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ يجب أن يبقيا على ظاهرهما من الناحية النصية، دون تعسف في تأويلهما ليتسقا مع ما وصل إليه العلم الحديث، فليس في القرآن والسُنة ما يعارض الحقائق العلمية وحسبنا أن أول آية نزلت [اقرأ] تحفز على تحصيل العلم بكل فروعه، ومن ثم فلا يعقل أن تشتمل الرسالة الخاتمة على ما يعارض حقائق العلم وقد ابتدأ هديها بالدعوة إليه.

الأساس الثالث:

ينبغي الابتعاد عن تفسير القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ بالنظريات العلمية، فمهما بلغ بريق هذه النظريات وأخذت حظًا وافرًا من النشر والدعاية الإعلامية، فالنظريات القائمة اليوم قد يظهر عكسها غدًا أو بعد غدٍ، وبالتالي يصبح محتوى القرآن الكريم وأقوال الرسول ﷺ عرضة للنقد ولتأييد الهجوم العدائي الزاعم أنّ الدين القائم عليهما لا يصلح ـ من الوجهة العدائية ـ أن يكون خالداً وخاتماً، طاعنة بذلك في اعتبار القرآن والسنة كلمة السماء الأخيرة لهداية أهل الأرض قاطبةً إلى قيام الساعة، وبدونهما لن تكون هداية على الإطلاق.

الأساس الرابع:

التركيز على تناول الحديث الصحيح وتخريجه دون الاعتماد على الحديث الضعيف بأى حال من الأحوال.

الأساس الخامس:

إنّ القرآن الكريم ليس كتابًا علميًا تجريبياً بحتًا، وكذا أقوال النبي ﷺ، بمعنى أنهما يحتويان على تفاصيل الدقائق العلمية، فذلك يتنافى مع الهدف من رسالتهما وهو الحرص على هداية البشر، والأخذ بأيدى الناس إلى طريق الحق من

خلال ما شرع الله (تعالى) عبر اختلاف الزمان والمكان ومع تفاوت إدراكات العقول وأنماط الحياة من البداوة إلى الحضارة..

وكذا الحرص على هداية البشر بما تشتمل عليه هذه الرسالة الغراء من مناهج تقود إلى تهذيب النفس وضبط غرائزها وشهواتها في ضوء عقيدة صحيحة تتفق مع مطالب العقول وحاجات القلوب؛ لتوجد الإنسان الصالح والمجتمع الصالح والأمة الصالحة على مدار الزمن.

إن ما يجيء في القرآن الكريم أو السُنة النبوية، فيما يتعلق بالإعجاز العلميّ لا يعدو كونه إشارةً يلتقطها العقل البدائي فيفهم مقصودها ببساطة شديدة، ويقف على دقائقها العالِم المتخصص، فيأخذ منها ما يستعين به على استمرار مسيرة الحياة، وعلى ما يؤكد عظمة الله (تعالى) في ما أودع في الكون من أسرار عظيمة، ونظم دقيقة، وقوانين محكمة يستحيل أن تصدر عن غير الله (تعالى)، أو أن تكون وليدة الصدفة كما يرى الطبيعيون.

يقول الأستاذ/ عباس العقاد:

"ألا ما أكثر الإرشادات القرآنية إلى حقائق كثير من العلوم والمعارف، وهي إشارات توجب علينا أن نقرر بإزائها أنّ القرآن الكريم، مع اشتماله عليها، فهو كتاب عقيدة، وليس كتاب علم من العلوم المتعارف على أسمائها بين الناس مثل علم الكيمياء، أو الطبيعة، أو الأحياء أو غير ذلك.

إن القرآنَ كتابُ عقيدةٍ، لا يطلب من المؤمنين به أن يستخرجوا منه تفصيلات تلك العلوم، كما تعرض عليهم في معامل التجربة والدراسة؛ لأن هذه التفصيلات تتوقف على محاولات الإنسان وجهوده، كما تتوقف على حاجاته

وأحوال زمانه[1].

ولا أكون مخطئاً إن قررت أن ما قاله الأستاذ العقاد في شأن القرآن الكريم ينطبق على السنة النبوية الصحيحة.

وفي هذا الصدد أيضًا يقول الدكتور/ عبد الكريم عثمان:

إنّ القرآن كتاب عقيدة يهدف من كل ما اشتمل عليه من إرشادات علمية إلى أمرين اثنين:

أحدهما: ربط مختلف المعارف والعلوم بالإيمان والعقيدة.

والآخر: حث الإنسان على التفكير السليم والنظر الصحيح إلى ما يزخر به عالم الإنسان والحيوان والنبات وسائر الآيات الكونية ــ من غير أن يتضمن القرآن حكمًا من الأحكام يشل حركة العقل في تفكيره، أو أن يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع حيثما استطاع[2].

هذا وقد لخص الدكتور/ زغلول النجار، الأسس الواجب مراعاتها عند تناول الإعجاز العلميّ في القرآن والسُنّة فقال:

تتلخص ضوابط الإعجاز العلميّ في النقاط الأساسية التالية:

أ) عدم توظيف سوى الحقائق العلمية الثابتة التي حسمها العلم، وأصبحت من الأمور القطعية المسلمة التي لا رجعة فيها، وذلك في سبق القرآن الكريم أو السُنّة النبويّة المطهرّة في الإشارة إلى تلك الحقيقة الكونية.

ب) عدم التكلف في ليّ أعناق الآيات لتتوافق مع الحقيقة العلمية؛ لأن القرآن الكريم أعز علينا وأكرم من ذلك وأصدق .

---

(١) الفلسفة القرآنية للأستاذ/ عباس محمود العقاد، ص١٧.

(٢) معالم الثقافة الإسلامية، ص١١٩، ط الخامسة، دار النصر، شبرا، القاهرة.

ج) ضرورة الإلمام باللغة العربية، ودلالة مفرداتها وقواعدها وأساليب التعبير فيها، وكذلك الإلمام بأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وبالمأثور من تفسير الرسول ﷺ وبجهود الصحابة والتابعين وكبار المفسرين في كل آية يتعرض لها الدارس لإثبات جانب من جوانب الإعجاز العلميّ فيها، أو لإثبات ذلك في حديث صحيح من أحاديث الرسول ﷺ.

د) الإلمام بآخر ما وصل إليه العلم في الحقل الذى تتعرض له الآية أو الحديث النبويّ الشريف الصحيح.

هـ) احترام التخصص العلميّ، حتى لا يخوض في هذه القضية التخصصية كل خائض، ولا يخوض متخصص في فرع من فروع العلم لإثبات الإعجاز العلميّ للقرآن أو للسُنة النبوية المطهرة في جميع التخصصات الخارجة عن مجاله، إذ قد انتهى زمن العلماء الموسوعيين، وأصبح مستحيلًا على فرد واحد أن يخوض في قضية الإعجاز من علم الأجنة إلى علم الفلك.

و) التأكّد من صحّة الحديث النبوى الشريف، وذلك قبل التعرض لإثبات جوانب الإعجاز العلميّ فيه[١].

ولمزيد من الوقوف على الضوابط التي وضعها العلماء المختصون أذكر ما أشار إليه الدكتور طارق السيد غنيم في تفصيل مفيد في كتابه الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية (دراسة في المنهج).

حيث أشار في الخاتمة إلى القواعد التالية:

١- **القواعد اللغوية والضوابط البيانية:** إذ لا يتوقع فهم لمن لا يعرف لغة ما لنص مكتوب بها، ناهيك عما تتميز به اللغةُ العربيةُ من أساليبَ متعددةٍ.

---

(١) الوعى الإسلامي، ص١٦، العدد، ٤٢٤ ــ ذى الحجة ١٤٢١هـ ــ مارس ٢٠٠٢م الكويت.

٢- **توثيق النصوص:** إذ إن النصوص الواردة ليست جميعها في نفس الدرجة من الثبوت والنسبة إلى رسول الله ﷺ، ومن ثم فيجب قبل أية مسألة في الحديث النبوي أن نستوثق من ثبوته وصحة نسبته إلى الرسول ﷺ، وفقاً للمعايير التي وضعها أهل الاختصاص.

٣- **التثبت من المعطيات العلمية الحديثة:** فالمعارف العلمية في تطور دائم وهذه خاصية من خصائص العلم، ولذلك فعلى الباحث أن يكون واعياً لمستويات العلم من ظنون وتخمينات وفروض ونظريات وحقائق.

٤- **الوحدة الكلية ودور القرآن في فهم الحديث:** إذ من الواجب فهم جزئية معينة في الحديث النبوي في إطاره العام، وضمن الوحدة الكلية للحديث، أي لا يجوز اجتزاء عبارة أو جملة أو لفظة من السياق، أو انتزاعها، دون وضعها في جو السياق العام لها. أما الاهتداء في فهم الحديث بما ورد بشأن موضوعه في القرآن الكريم، فهو مما لاشك في ضرورته، إذ أن القرآن هو الميزان الأساسي لقبول الحديث أو لفهمه فهماً صائباً.

٥- **خطورة ردّ أحاديث الآحاد:** وهي الأحاديث التي يخطئ البعض حين يظن بأنها هي التي رواها راو واحد، بل حديث الآحاد هو الذي لم يصل نقلته مبلغ الحديث المتواتر. ومعظم الأحاديث في كتب الصحاح من هذا الصنف، إذ المتواتر فيها قليل.

٦- **خطورة رد الأحاديث الصحيحة ـ عموما.**

٧- **الموقف من الأحاديث الضعيفة .**

٨- **الشرح الموضوعي للسنة:** يجب جمع الأحاديث الصحيحة التي تشير تصريحاً أو تلميحاً إلى الحقيقة الكونية أو الطبية، وكذلك روايات الحديث الواحد،

ورد متشابهها إلى محكمها، وحمل مطلقها على مقيدها، وشرح عامها بخاصها.

٩- **تخصيص العموم:** وردت أحاديث نبوية عديدة في مناسبات خاصة وظروف معينة، وبالرغم من ذلك سحبها البعض لتعم وتشمل ولا تخص أو تقصر.. والأحاديث المحتوية لإشارات علمية أو حكم صحية أو أمور طبية، قد تكون مفيدة لجميع الأحوال وكافة البيئات، وقد لا تكون هكذا، وهذا يتضح من فقه التخصيص الوارد فيها ودراسة ظروفها.

١٠- **معرفة أسباب الورود:** إن من الواجب على الباحث أن ينتبه للظروف والمناسبات والملابسات التي ورد فيها الحديث النبوي، حتى يمكن فهمه فهماً سليماً، واستنباط ما يمكن استنباطه.

١١- **الجمع والتوفيق بين النصوص الصحيحة المتعارضة.**

١٢- **الترجيح فيما بين النصوص الصحيحة المتعارضة.**

١٣- **الناسخ والمنسوخ:** "النسخ" هو التوقف عن الأخذ بنص لأن هناك نص آخر جاء بعده فأبطله أو عدله، فكأن الآخر (المتأخر) قد نسخ الأول (المتقدم). ويمكن معرفة المتقدم تاريخياً بعدة أشياء، كأن يكون المتن يصرح بذلك، أو ينطق به لفظ الصحابي، أو يعرف من حكاية الصحابة له، أو من فهم الروايات،... الخ.

١٤- **الإشارات العلمية سبيل للهداية الإسلامية:** لا يجوز عقد سباق بين إشارات ومدلولات الأحاديث النبوية وبين الكشوف العلمية الحديث، لأننا بذلك نزج بسنة الرسول ﷺ في تفصيلات ليست من أهدافها الرئيسية، فالرسول ﷺ بعث لهداية البشر جميعهم، ولم يبعث ليعلم الناس قوانين الطفو ودوران الأفلاك وانشطار الذرة وغيرها.

كما يجب أن تكون المعرفة بالحقيقة العلمية طريقاً لتحصيل معارف أخرى،

بمعني أن الحقائق العلمية الواردة في الأحاديث النبوية لم تأت لمجرد السرد العلمي، وإنما جاءت للاستدلال بها على حقيقة غيبية، كوجود الله أو بيان قدرته في خلقه[1].

تعقيب ورجاء:

وهكذا يكون ما ورد في القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ من إعجاز علمي، مجرد إشارات وإرشادات مجملة، وبغير تفصيلات تكفل بإظهارها التقدم العلمي الذي كشف عن النسب المتفاوتة للأشياء، والقوانين التي تنتظمها وفق السنن الإلهيّ الذى تمضى عليه بإذن الله تعالى، كل في حينه من الذرة إلى المجرة، وبالتالى يكون الإسلام ـ كتابًا وسُنة ـ دعوة في عصر العلم إلى الإقبال على الإيمان بالله (تعالى) الذى وضع هذه القوانين والتركيبات في العناصر المختلفة، وكل بقدر معين ولوظيفة معينة، فلا مجال للتخبط أو القول بالصدفة العمياء، فما كانت هذه الصدفة لتقيم ذلك الكون العظيم القائم على التوازن العام، والتكامل الدقيق التام وفق نواميس أعلى من إدراك الإنسان نفسه، لأنها نواميس تجري بقدرة الله (تعالى)، الذى هيأ الإنسان لأن يكتشف بفضل الله عليه كل يوم الجديد منها.

وتلك هي الحقيقة التي لا جدال فيها لدى أصحاب العقول السليمة والفطر النقية الصافية .

ومن خلال هذه الأسس السابق ذكرها، والواجب مراعاتها عند تناول الإعجاز العلميّ في القرآن أو السُنة النبوية، يجب أن يعلم أن الإسلام غير ضعيف في مبادئه ومناهجه حتى يحتاج إلى التعسف في التأويل؛ ليكسب صداقة العلم في تزكيته، وإنما العلم محتاج إلى نصوص الإسلام حتى يتأدب العلماء مع الله تعالى،

---

(١) الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية، ص١٥٩ - ١٦٥ باختصار، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٥م رقم الإيداع ٢٠٠٥/١٧٤٣٨.

الذى علم الإنسان كل هذه العلوم، وأوقفه بفضله (عزّ وجلّ) على هــذه الكــشوف العظيمة، وساعة أن يتمرد العلماء على الله (تعالى) لن يضروا إلا أنفسهم!

والإسلام هو دين الله الخاتم الخالد، آمن الناس به أم كفروا.

وعلى علماء المسلمين فقط أن يحسنوا عرض الإسلام، مع بيــان مناهجــه العظيمة في الهداية والإصلاح في شتى المجالات، وحينئذ سيقف الناس على عظمة هذا الدين، الذى يعد كلّ شيء فيه إعجازًا باهرًا، ففي الإسلام ــ كتابــاً وســنةً ــ الإعجاز العقدي من ناحية الاستدلال على وجود الله (عز وجــل)، وتوحيــده فــي الألوهية والربوبية!

والإعجاز التشريعي الذى يكفل الحقوق ويحدد الواجبات، كما يوجــد فــي الكتاب والسنة الإعجاز البيانى والتاريخي والعلمي والتربوي.

إن الإسلام قضية عادلة لكنه يحتاج على الدوام إلى الدعاة المهرة، الــذين يحسنون عرض حججه، وتفصيل أدلته، عرضاً وتفصيلاً يجمع بين النص والروح؛ حتى يقتنع به العقل، ويطمئن إليه القلب، ويستحق القائمون على الــدعوة إليــه أن يكونوا بحق ورثة الأنبياء!

***

المبحث الثالث

ويتناول نبذة تاريخية عن الإعجاز العلميّ فى القرآن والسنّة

لقد قطع علماء المسلمين شوطًا كبيرًا، وبذلوا جهودًا عظيمةً ــ بحثًا وتأليفًا ــ في بيان الإعجاز العلمي فيما احتوته نصوص الوحي المتلو وغير المتلو ــ القرآن والسُنة ــ وهذا جُهد يذكر لهم ويُشكَرون عليه.

ولعل أبرز ما شجع العلماء على بذل هذه الجهود، الإيمان بأن القرآن الكريم متعدد جوانب الإعجاز، فهو كتاب الرسالة العالميّة الخالدة ، الباقية بقاء الزمن ، لكل أجناس الأرض، ومن ثَمَّ نلحظ تعدد مجالات هذا الإعجاز في ميدان العقيدة والتشريع ، ومجال التربية والتاريخ ، ودراسة النفس الإنسانية ومشاربها المختلفة ، بالإضافة إلي المجال الكوني، الذي يعتبر القرآن الكريم صاحب سبق فيما أشار إليه من حقائق علمية.كما تعد السُنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ ميدانًا آخر للإعجاز ، في شتي المجالات العقدية، والتشريعية، والتربوية، والنفسية والأخلاقية ، فضلاً عما أثبت البحث العلمي التجريبي صحة ما أنبأت به، وأشارت إليه من حقائق علمية مبهرة.

وقد أخذ الكلام عن الإعجاز في القرآن الكريم فى الظهور خلال القرن الثالث الهجرى، نظرًا لانتشار رقعة الإسلام فى أرجاء المعمورة، واشتغال المسلمين بالترجمة للثقافات الأجنبية. وأخذ الكلام عن الإعجاز فى القرآن يسير في اتجاهين: أحدهما في ثنايا كتب التفسير، والثاني في تأليف الكتب المستقلة عن الإعجاز ، وكان الإعجاز البياني واللغوي في مقدمة صنوف الإعجاز في ذلك الوقت .

ومن العلماء الذين تناولوا الإعجاز في القرآن في ميدان التفسير كما يقول الدكتور كارم السيد غنيم: الإمام ابن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ.

وفي القرن الخامس الهجري، الإمام (الباقلاني (٤٠٣هـ) وكتابه المشهور (إعجاز القرآن).

وشهد القرن السادس كلًا من: الإمام الزمخشري (٥٣٨هـ)، وابن عطية الغرناطي (٥٤٢هـ)، وغيرهما.

وحَفَل القرنُ السابع بكثيرٍ من العلماء ممن تناولوا الإعجاز في القرآن، أمثال الإمام فخر الدين الرّازي (٦٠٦هـ)، والإمام القرطبيّ (٦٧١هـ) في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، والإمام البيضاويّ (٦٨٥هـ) في كتابه (أنوار التنزيل)، وغيرهم[1] .

وممن تناول الإعجاز القرآنى بالتأليف المستقل: الجاحظ[2] في كتابه نظم القرآن وردّ فيه على أستاذه (النظام)، الذي ذهب إلي القول المشهور بالصرفة ، وهو أن الله صرف الناس عن الإتيان بمثل القرآن.

يقول الدكتور (مصطفي مُسْلم): (ولعلّ أول من تولي الرّد على القول بالصرفة، هو (الجاحظ) تلميذ (النظام) ، فإلي جانب تناوله موضوع "إعجاز القرآن" في إشارات مقتضبة في بعض كتبه الأدبية كـ "الحيوان"، "والبيان والتبيين"، فقد ألّف كتابًا سماه "نظم القرآن"، ليتعرف القارئ من خلاله بيان المعاني في الآيات القرآنية ذات الكلمات القليلة على نظم القرآن الكريم، وتفرده بنمط معين لا يتوفر في كلام غيره)[3] .

---

(١) الجراد في القرآن والعلم الحديث د. كارم السيد غنيم، و د/ عبد العظيم محمد الجمال، ص١٧-١٨ بتصرف ـ دار الصحوة ـ القاهرة..

(٢) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، توفى سنة ٢٥٥هـ.

(٣) مباحث في إعجاز القرآن الكريم ، ص٤٦ ، ط. دار القلم ، دمشق ، ط٣ ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م.

ولعلّ القرن الرابع عشر الهجري يمثل مرحلة النضج والتأصيل الحقيقي لقضايا الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم، ففي القرون السابقة، كانت هناك محاولات متناثرة في كتب التفسير، تتناول الحديث عن ربط الآيات القرآنية بالعلوم الكونية والإنسانية، وتبين أنّ القرآن اشتمل على إشارات تتعلق بحقائق هذه العلوم، وتفسير الآيات القرآنية في ضوء ما وصل إليه العلم فى تلك العصور ، مثال ذلك: ما جاء في تفسير الرازى وغيره.

ولعل هذه المحاولات المتناثرة والمشار إليها هنا ـ وإن جاز اعتبارها بدائية بالنسبة لكشوف العصر الحديث ، لكنها في الوقت نفسه تحمل الدليل على اهتمام علماء المسلمين بقضية الإعجاز العلميّ في تلك العصور.

وحين جاء العصر الحديث، الذي شهد تقدم العلم بإنجازاته الهائلة ، التي تفوق الخيال، والتي لو قيل عنها للسابقين لاعتبروها ضربًا من الأساطير.

ظهر العلم الحديث بابتكاراته ومخترعاته، التي أدهشت عقول الناس، واستولت على أفئدتهم – عامتهم وخاصتهم على حد سواء!

وبدل أن يسير هذا العلم بمخترعاته العظيمة – التي وفق الله تعالي العلماء إليها – في طريق الهُدى والإيمان؛ ليزداد العلماء من الله قربًا ويقينًا ، أخذ بعض العلماء يمضي في اتجاه مضاد، ألا وهو الجحود والإلحاد، الذي ينكر وجود الله (عز وجل)، ويؤمن بهيمنة الطبيعة على الأنفس والآفاق!!

ومن ثَم أصبحت الحاجة ماسة إلي إبراز جوانب الإعجاز العلمي في القرآن والسُنة؛ ليعود الجاحدون إلي فطرتهم، من حيث الإيمان بالله (عز وجل) ، ويزداد المؤمنون إيمانًا، ويفكر غيرُ المؤمنين في حقيقة الإسلام بحيدة وموضوعية، وأمانة علمية.

ذكر الدكتور كارم السيد غنيم، العديد من العلماء الذين تناولوا الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن منذ القرن الرابع عشر، فقال:

" أما في القرن الرابع عشر الهجري فقد ظهرت النزعة العلميّة بقوة واضحة ، وازداد نشاط علماء المسلمين (وغيرهما أحيانا) في بيان أوجه الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم، نظرًا لأن لغة الزمن الحديث والمعاصر هي لغة العلوم والمخترعات والمكتشفات ، حيث أضحى الإلحاد اليوم هو الإلحاد العلمي، الذي يبحث عن نظريات علمية، كبدائل لفكرة الخلق وقدرة خالق حكيم يهيمن على الكون!!

وكان من رجال القرن الرابع عشر الهجريّ، الذين ضمَّنوا تفاسيرهم إشارات قصيرة أحيانًا، ومفصلة أحيانًا أخري ، في الإعجاز العلمي للقرآن:

الإمام محمد عبده، ومحمد رشيد رضا (في تفسيره المعروف بالمنار) ، د/ محمد محمود حجازي (في تفسيره الواضح)، سيد قطب (في ظلال القرآن)، طنطاوي جوهري (في الجواهر).

أما في القرن الخامس عشر الهجريّ – والذي نعيشه الآن – فبرز نفر فى هذا المجال من المفسرين أو مؤلفي كتب التفسير، منهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ محمد متولي الشعراوي (صاحب الخواطر)، وسعيد حوي (صاحب الأساس)، وأبو الأعلى المودودي (صاحب تفهيم القرآن)، وماضي أبو العزايم (صاحب أسرار القرآن)، وابن أحمد خليل (صاحب حكم المثاني).

إلا أنّ غيورين ممّن ليسوا من طائفة المفسرين قد كتبوا، فأبدع بعضهم وأخفق آخرون، في بيان القصد وبلوغ المرام من سعيهم في سبيل بيان أوجه الإعجاز العلمي فى آيات القرآن الكونية، سواء كانت مجهوداتهم في كتب ألفوها،

أو مقالات كتبوها، أو بحوث أعدوها.

نذكر من هؤلاء المحدثين والمعاصرين : حنفي أحمد (التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن)، د/ عبد الله شحاته (تفسير الآيات الكونية)، د/ محمد أحمد الغمراوى (الإسلام فى عصر العلم)، (سنن الله الكونية)، د/ محمد جمال الدين الفندي (الله والكون)، د/ محمد يوسف حسن (قصة السموات والأرض)، د/ عبد الغني الراجحي (الأرض والشمس في منظور الفكر الإسلامي)، د/ موريس بوكاى (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، على عبد العظيم (في ملكوت السموات والأرض)، وحيد الدين خان (الإسلام يتحدّى)، (الدين في مواجهة العلم)، صلاح الدين خشبة (العلم والإيمان)، محمد محمود إبراهيم (إعجاز القرآن في علم طبقات الأرض)، عبد الرزاق نوفل (الله والعلم الحديث)، (الإسلام والعلم الحديث)، (القرآن والعلم الحديث)، د/ أحمد محمود الشرقاوي (القرآن والكون)، د/ محمد إبراهيم شريف (هداية القرآن في الآفاق والأنفس)، د/ عبد الحميد محمود طهماز (المعجزة والإعجاز في سورة النمل)، د/ توفيق علوان (معجزة الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين)، محمد الصرايرة (آيات للموقنين)، د/ عبد الله عبد الرحيم العبادي (العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه؟)، د/ محمد كمال عبد العزيز (نظرة طبية في المحرمات القرآنية)، توفيق محمد عز الدين (دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث)، د/ محمد محمد خليفة (معجزة الأرقام في القرآن)، د/ عبد العزيز باشا إسماعيل (الإسلام والطب الحديث)، د/ إبراهيم عبد الحميد الصياد (المدخل الإسلامي للطب)، د/ مجمد صدقي (علم الفلك في القرآن)، مصطفي صادق الرافعي (إعجاز القرآن)، الغازي أحمد مختار باشا (سرائر القرآن)، د/ محمد على البنبي (نحل العسل بين القرآن والطب)، محمد عثمان الخشت (وليس الذكر كالأنثى)، د/ منصور حسب النبي (الكون والإعجاز العلمي

للقرآن)، د/ عبد العليم عبد الرحمن خضر (الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن)، د/ خالص جلبي (الطب محراب الإيمان)، د/ محمد السعيد إمام (حديث الإسلام عن الأشجار)، نعيم الحمصى (فكرة إعجاز القرآن)، د/ عبد المجيد الزنـــدانى (توحيـــد الخالق).

محمد عفيفى الشيخ (القرآن الكريم وعلوم الغلاف الجوى)، د/ عبد الله عبد الرازق مسعود (السواك والعناية بالأسنان)، (الرطب والنخلة) ، د/محمد على البار (خلق الإنسان بين الطب والقرآن) ،(الخمر بين الفقه والطـــب)، (دورة الأرحـــام) (موت القلب أو موت الدماغ)

(الأسرار الطبية والأحكام الفقهية فى تحريم الخنزير)، د/ محمد عبد المنعم عبد العال (نظرات إسلامية على الأمراض الجلدية والتناسلية) د/ خلوق نور بـــاقى (الإنسان ومعجزة الحياة)، د/ محمد نزار الدقر (العسل ...... فيه شفاء للناس)، د/ عبد الحميد دياب ، د/احمد قرقوز (مع الطب فى القران الكريم) ، شمس الدين آت بلوت (دارون ونظرية التطور) ،د/ محفوظ على عزام (نظرية التطور عند مفكرى الإسلام) ، محمد عبد الحميد البلوشى (الإسلام والطب)، عبد الحليم الجندى (القرآن والمنهج العلميّ المعاصر) .. إضافة إلى زمرة من الكتّاب، الذين يسهمون بنصيب فى هذا المجال ، نذكر منهم د/ احمد حسانين العقل ، د عبد الحافظ حلمى، د/ عبد الحليم منتصر، د/عبدالحليم كامل ، د/كارم السيد غنيم ، د/ عبد الكريم دهينه ، سالم نجم، د/ عبدالمحسن صالح ، محمد إسماعيل إبراهيم ، محمد عبد القادر الفقى(١) .

أقول: هذا بعض ما يتعلق بالنبذة التاريخية، عن الإعجاز العلميّ فى القران الكريم فإذا انتقلتُ للنبذة التاريخية عن السنة المطهّرة.. فلا يسعنى إلا أن أقول: لقد

---

(١) الجراد بين القرآن الكريم والعلم الحديث ص١٧-١٩ مرجع سابق.

اشتملت بعض أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) على إشارات علمية دقيقــة، مرَّ عليها علماء السلف مرورًا عابرًا، دون الوقوف علـــى دقائقهـــا؛ نظــرًا لأن معارف عصرهم لم تؤهلهم إلي الوقوف على هذه الدقائق؛ لما تحتاج إليه من أجهزة ومعامل وتحاليل، مع التصديق الكامل لما اشتملت عليه من معانٍ؛ لــصحة الــسند والمتن عنهم، وإيمان يقيني بنزول الوحي إلي الرسول ﷺ ، ومن ثَمّ، كان تناولهــا تارة من حيث اللفظ وموقعه من الجملة، أى اتجاه نحوى، وتارة ثانية من الناحيــة الفقهية، وتارة ثالثة من الناحية العلمية.. وهكذا، ومَنْ يطالع كتاب (فــتح البــارى) لابن حجر العسقلاني، أو غيره من كتب الحديث، يقف على الكثير مما ذكــر مــن خلال المتاح من علوم عصرهم وخاصةً ما يتعلق بالطب، ونلحظ ذلك من الكتــب التي تناولت شرح هذه الأحاديث مثل كتاب:

١- "الشفا في الطب المسند عن المصطفى" لأبى نعيم الأصــبهانى (٣٣٦ – ٤٣٠) هجرية.

٢- "الطب النبوى" للحافظ شمس الدين الذهبى (٦٧٣ - ٧٤٨) هجرية.

٣- "الأحكام النبوية في الصناعة الطبية" لابن طرفان الحموى المتوفى ســنة (٧٢) هجرية.

٤- "الطب النبوى" لمحمد الصفتى الزينبى، كان مخطوطاً بدار الكتب المصرية.

٥- "في الطب النبوى" لضياء الدين المقدسي، لا يزال مخطوطاً..!

٦- "الطب النبوى" لعبد الحق الإشــبيبلى (٥١٠ - ٥٨١) هجريــة أشــار إليــه القسطلانى في المواهب.

٧- "الطب النبوى" للسخاوى، أشار إليه في المقاصد الحسنة.

٨- "تذكرة في الطب النبويّ" لبدر الدين بن جماعة المتوفى ســنة ٧٣٣ هجريــة،

وكان مخطوطاً في مكتبات تركيا.

٩- "المنهل" السوي والمنهل الروي في الطب النبوي" للسيوطى المتوفى (٩١١) هجرية.

١٠- "هدى الرسول ﷺ في الطب" لابن القيم الجوزية، وهو جزء من كتابه الكبير "زاد المعاد"، وقد قام بتحقيقه مؤخراً الدكتور عبد المعطى قلعجى"(١).

أما الإشارات الكونية من خلال الأحاديث النبوية، فقد كان تناولها في شروح السنة محدوداً للغاية .. إذ نجد الشارح من علماء السلف للأحاديث المتعلقة بالكون وما فيه من سماء، وشمس، وقمر، وسحاب، ورياح وأمطار، والأرض وما فيها من جبال، وأنهار، وبحار، وزلازل ......الخ، يمر عليها مرار الكرام دون تعليق، مكتفيًا بالتصديق بما ورد فيها، مادام قد صح المتن والسند فى هذه الأحاديث، ومن ثَمّ، فلم تظهر المصنفات، التى تتناول الإعجاز العلميّ فى السنة، على وجه الاستقلال إلاّ مؤخرًا، حيث أخذت ظاهرة الكلام عن الإعجاز العلميّ فى القرآن، تمضى بخطى سريعةٍ منذ بداية القرن الرابع عشر الهجريّ، وتبعها على مهل وتؤدة، تناول أوجه الإعجاز العلميّ فى السنة، نظرًا لقلة الأبحاث العلمية التى تناولت بعض هذه الأحاديث، مثل: حديث الذباب، وأبوال الإبل، ولعاب الكلب، والسواك، وغير ذلك.

ومن المؤسف حقًا، أنّ هذه الأبحاث العلمية، جاءت في البداية عن طريق غير المسلمين من الباحثين ، وكان الأولى بعلماء المسلمين الذين يعملون فى ميدان العلم التطبيقى (الفيزياء - الكيمياء - الطبيعة ......الخ) أن يكون لهم فضل السبق

---

(١) موسوعة الإعجاز العلميّ في الحديث النبوى الشريف، تأليف الأستاذ/ عبد الرحيم ماردينى، ص٤٧ - ٤٨ط دار المحبة ــ دمشق الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م.

فى هذا المضمار، ولكن فتور الهمم، أصبح ظاهرة تستشرى فى العالم الإسلامى، إلا قليلاً بعد أن كان لأجدادهم السبق والفضل فى صنع الحضارة الإسلامية، التى غذَّت الحضارة الغربية بفيض علومها ومخترعاتها، وإن كان كثير من الغربيين يتنكرون الآن لفضل الحضارة الإسلامية على حضارتهم.

وقد ظهر حديثًا بعضُ المصنّفاتِ المتناولةِ للإعجاز العلميّ فى السُّنة على وجه الاستقلال، منها:

١- الإعجاز العلميّ فى السُّنة النبوية، تأليف الدكتور/ صالح بن أحمد رضا.

٢- الإعجاز العلميّ فى السنة النبوية. د/ زغلول النجار.

٣- موسوعة الإعجاز العلميّ فى الحديث النبوى. د/ أحمد شوقى إبراهيم.

٤- الإعجاز العلميّ فى الإسلام – السنة. الأستاذ / محمد كامل عبد الصمد.

٥- الإعجاز العلميّ فى الحديث النبوى. الأستاذ / عبد الرحيم ماردينى.

٦- السنة والعلم الحديث. د/ عبد الرزاق نوفل.

ويلاحظ أن المؤلفات والأبحاث عن الإعجاز العلميّ فى القرآن الكريم، أكثر من المؤلفات عن الإعجاز العلميّ فى السنة، وذلك لسببين:

السبب الأول: أن الله تعالى جعل الكون مادة حية جذابة؛ للاستدلال على وجود الله تعالى، ومن ثَمّ، اشتملت آياتُ القرآنِ الكريمِ على قرابة ألف آية، تتناول الكون، وما فيه من سماء وما فيها من كواكب، ونجوم، وسحب، ورعد، وبرق، وأرض وما فيها من جبال، وأنهار، وبحار، وغير ذلك؛ مما يؤكد عظمة الكون وأوجه الإبداع فيه، كما يؤكد الإقرار بوجود الخالق العظيم المبدع، القائم على شئون هذا الكون بالخلق، والتقدير، والنواميس التى تحكمه، ولا تخفى على ذى عقل سوى؛ الأمر الذى يترتب على التذكير بها الإقرار بوحدانيته تعالى.

هذا الاتجاه فى البيان والاستدلال جعل آيات القرآن الكريم الكونية، أكثر من الآيات العقدية، أو التشريعية، أو الأخلاقية، ومن ثَمّ، فالميدان فسيح لتناول أوجه الإعجاز العلميّ فى القرآن.

السبب الثانى: أنّ الله تعالى، حفظ القرآن الكريم من التحريف مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[1] فآيات القرآن كلها يقين؛ مما جعل الذين يتناولون الكلام عن الإعجاز العلميّ فى القرآن الكريم، فى حالة طمأنينة من سلامة النص، بالنسبة لما يتناولونه من مسائل البحث المتعلق بميدان الإعجاز العلميّ أما الحديث النبويّ ففيه الصحيح والضعيف، مما جعل الذين يتناولون الإعجاز العلميّ فى السُنة، يتخوّفون من صحة الحديث وسلامة نصه، وهذا يبطئ الهمة لديهم، ومن ثَمّ، كان لهذا أثره فى قلة المؤلفات فى ميدان الإعجاز العلميّ فى السُنة، ولكن حسبنا أن نتناول ما جاء فى صحيحى الإمامين (البخارى ومسلم) وكلاهما فى مقدمة الصحيح من الحديث؛ ليطمئن قلب من يتناول الإعجاز فى أقوال الرسول ﷺ وأفعاله.

وهكذا ستظلُّ مسيرةُ الإعجازِ العلميّ فى القرآن والسنة، آخذة فى النمو والازدياد؛ للوصول إلى كل جديدٍ على مر العصور، مرتبطة فى خط متوازن مع تقدم العلم وثراء كشوفه، التى تأخذ دائمًا بالألباب والأفئدة، مهيئة الطريق الحق للإيمان بالله الواحد الأحد جل شأنه، وصدق رسالة الإسلام وحاجة البشر – كل البشر – إليها، وصدق نبوة سيدنا محمد ﷺ وختمه للرسالة الإلهية إلى قيام الساعة.

* * *

---

(١) الحجر الآية (٩) .

الفصل الثانى

نماذج وثمار عملية للإعجاز العلميّ فى القرآن والسنة

ويتكون من مبحثين

المبحث الأول :

نماذج للإعجاز العلميّ فى القرآن والسنة

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول : نماذج للإعجاز العلميّ فى القرآن الكريم

المطلب الثانى : نماذج للإعجاز العلميّ فى أحاديث الرسول ﷺ

المبحث الثاني : نماذج عملية لمن دخل الإسلام بسبب الإعجاز العلميّ بعد إرادة الله تعالى

***

المطلب الأول :

نماذج للإعجاز العلميّ فى القرآن الكريم

ويتضمن بعض ما جاء فى القرآن الكريم من آيات ذات إشارات علمية على النحو التالى :

النموذج الأول : ما جاء فى القرآن الكريم عن تكوين الجنين

النموذج الثانى : ما جاء فى القرآن الكريم من تحريم نكاح بعض النساء

النموذج الثالث : ما جاء فى القرآن الكريم عن تحريم إتيان المرأة وهى حائض

النموذج الرابع : ما جاء فى القرآن الكريم عن الجبال فى القرآن الكريم

النموذج الخامس : ما جاء فى القران الكريم عن البحار فى القرآن الكريم

***

المطلب الأول : نماذج للإعجاز العلميّ فى القران الكريم

ويتضمن ما جاء فى القران الكريم من آيات ذات إشارات علمية على النحو التالى

النموذج الأول : ما جاء فى القرآن الكريم عن تكوين الجنين

وردت كثير من الآيات فى القرآن الكريم تتناول خلق الإنسان والأطوار التى يمر بها طورا بعد طور ، والتى أثبت البحث العلميّ صحة ودقة هذه الأطوار.

فقد جاء قوله تعالى

١- في سورة الحج جاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ﴾[1]

٢- في سورة المؤمنون: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ﴾[2]

٣- وفي سورة الزمر جاء قوله تعالى ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦ ﴾[3]

٤ – وفي سورة الإنسان قوله تعالى ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ

---

(١) سورة الحج الاية ٥

(٢) سورة المؤمنون الايات من ١٢ الى ١٤

(٣) سورة الزمر الاية ٦

﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾[1]

وهذه الأطوار أكدتها الأبحاث العلمية الحديثة وهى تثبت عظمة السبق القرآنى فى ميدان الإعجاز العلميّ واستأنس هنا ببعض النقول لأطباء كبار دونوا شهاداتهم حول هذا السبق

- البروفيسور: ج س جورنجبر:

يقول مؤكداً على صدق ما ذكرته: "أنّ هذا العلم (أي علم الأجنة) لم يتطور بشكل كبير إلاّ في الأربعينات من القرن الميلادي الحالي[2].

وعلى الرغم من ذلك فقد ذكر القرآن كيف يتطور الجنين داخل الرحم من نطفة إلي علقة إلي مضغة إلي عظام، ثم كيف تكسى العظام باللحم، ثم يتخذ الجنين شكلًا شبيهًا بشكل الإنسان ومرحلة النشأة، قال (تعالى): ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ .

والترتيب الذي ورد في القرآن الكريم لمراحل تطور الجنين الإنساني في غاية الدقة"[3].

٣- قال الدكتور (جوي سمبسون)

" النطفة حين تتحول إلى علقة يصبح الجنين شبيها بدودة العلق التي تعيش

---

(١) سورة الإنسان الآية ٢

(٢) أي القرن العشرين.

(٣) نقلا عن الإشارات العلمية فى القرآن د/ كارم السيد غنيم صـ ٤٨٠ـ باختصار والآيات من سورة (المؤمنون) رقم ١٢-١٤.

فى مياه البرك، كما أنه يعلّق بجدار الرحم، وهذا وصف دقيق للقرآن، حيث لم يتمكن العلم الحديث من معرفة شكل العلقة إلاّ مؤخرًا، أما المضغة فإن الجنين يكون خلالها مثل قطعة صغيرة من اللحم تَمّ مضغها بحيث تظهر عليها آثار الأسنان، ولا شك أنّ ذلك إعجاز علميّ باهر للقرآن الكريم، خاصّة وأن حجم المضغة صغير جدًا ودقيق للغاية ولم يكن المجهر قد اخترع في زمن الرسول ﷺ مما يبرهن على أن القرآن الكريم من لدن عليم حكيم(١).

وهكذا يؤكد البحث العلميّ صحّة وصدق ما جاء فى القران الكريم رغم أنّ النبى ﷺ لم يدرس الطب ولم يدخل جامعة ولم يكن لمثل هذه المعارف العلمية وجود أو نظير وقت بعثته ﷺ فهذا يؤكد لنا بيقين انه الوحى الإلهى من رب العالمين

النموذج الثانى : الآيات التى تتناول تحريم نكاح بعض النساء

حرم الإسلام نكاح بعض النساء لمقاصد شرعية أثبت البحث العلميّ صحتها كما جاء فى قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٢)

وقد وقف الطب حديثًا علي أهمية هذا التحريم وآثاره الوراثية الناتجة من

---

(١) نقلاً عن الإشارات العلمية في القرآن، ص ٤٨١، مرجع سابق.

(٢) سورة النساء الاية ٢٣

هذا التزاوج لو لم يكن التحريم، يقول الأستاذ عبد الرحيم الماريديني[١].

" إن من الحكم العظيمة والتي أثبتها العلم الحديث المعاصر أنّ الإسلام قد حرم الزواج من الأقارب وبشكل خاص أقارب الدرجة الأولي كالعمات والخالات والبنات ....إلخ".

ويقول العلم الحديث:

إن الأقارب وبشكل خاص أقارب الدرجة الأولي الذين حرم الزواج منهن يشتركون فى كثير من الصفات، قد تكون بعضها سائدة: أي أن المرض يظهر فى كل الأجيال المتعاقبة، ولكن أغلب الصفات المشتركة بين الأقارب تكون متنحية، وهذه الصفات المتنحية لا تكون واضحة على حاملها ولكنها تظهر فى نسله، ولا سيما إذا كانت زوجته تحمل نفس هذه الصفات المتنحية......

وكما ذكرنا فإن الأقارب يشتركون فى كثير من هذه الصفات وعلى ذلك فإن الفرصة لظهور هذه الصفات تكون كبيرة فى نسلهم إذا ما تزوجوا....

فإذا كانت هذه الصفات المتنحية سيئة عادة أدركنا حكمة الإسلام فى تحريم الزواج بالأقارب المحرمات....

غير أن التزاوج بين الأقارب من غير المحرمات يؤهل أكثر لتوارث الأمراض مثل الاضطرابات النفسية والعصبية والجسدية، ويظهر أثر ذلك بتوالي التزاوج بين الأقارب جيلاً بعيد حيل.

ويعلل الأستاذ/ محمد داود الجزائري هذا التحريم فى شأن الرضاعة أيضاً.

فيقول " ولعل الحكمة الطبيعية فى تحريم الزواج من أمهات وأخوات الرضاعة أن بروتين اللبن وهو الجزء الهام فى نمو الطفل يدخل فى تركيب

---

(١) موسوعة الإعجاز العلميّ فى الحديث النبوى

الخلايا، ولما كان لبن الأم هو المورد الأوّل الأساس الذي يأخذ منه الطفل البروتين، فإن أخوات الرّضاعة يصبحن متشابهات إلي حد كبير في التركيب الخلوي، وبالتالي في نمو الجهاز العصبيّ وترتيب الجينات على الصبغيات، مما يجعلهن متشابهات فى الصفات الوراثية، ومعروف أن الزواج في هذه الحالة يؤدي إلي ظهور صفات ضعيفة وآثار سيئة فى هذا النسل، مما يؤثر بدوره على الأفراد وعلي المجتمع، ومن هنا كانت حكمة الله عز وجل في تحريم الزواج بالرضاعة[1].

وإذا كانت هذه النتائج بخصوص المحرمات من الرضاع فإنها من ناحية النسب أقوي وأشد أثرًا كما سبق.

ويزيد الأستاذ عبد الرازق نوفل هذا الأمر جلاءً فيقول:

" يقول علم الوراثة أن الأبوين إذا كان بينهما صلة فى الدم، أي صلة قرابة وتزاوج، كان ذلك تزاوج أقارب، وسمي نسلُهما تربية الأقارب، وإذا لم يكن بينهما هذه الصلة فإن كان كلُ منهما بعيداً عن الآخر غريباً عن دمه وعائلته سمي زواجها تزاوج الأباعد، وسمي نسلهُما تربية الأباعد.

وقد قام العلماء بدراسة هذا التزاوج منهم " كرامب " عام (١٨٩٣) وتيسما يوسي عام ١٨٩٤ و(فايزمان) في عام ١٨٩٨هـ و(كاسل) في عام ١٩٠٦، و (مونكهاوس) في عام ١٩١١ و(هايد) في عام ١٩١٤ و(ايست) و(جونز) في عام ١٩١٩ بتجارب على أجيال متعددة فى الكائنات الحية، وشوهدت نتائجها التي ضمنوها علم الوراثة، والتي يتلخص أساسها فى أنّ زواج الأقارب يسبب ذرية

---

(١) الإعجاز الطبي فى القرآن والسنُة تأليف: محمد داود الجزائري صـ ٩٨ ط ـ دار ومكتب الهلال للطباعة والنشر ـ بيروت سنة ٢٠٠٠م.

أفرادها على استعداد للأمراض، وبها عيوب خلقية، وأن درجة التناسل تقل حتى تصل إلي العقم، أما تربية الأباعد فإنها تأتي بنتائج على عكس ذلك، كما تزيد عليها نتيجة عرفت باسم " قوة الخليط " ويقصد بها أن النسل الناتج من تربية الأباعد يفوق كلا من أبويه فى كثير من صفاته، كما يمتاز النسل كذلك بزيادة الوزن وقوة مقاومته للأمراض وسرعة النمو وقلة الوفيات"[١].

إن ما جاء به الإسلام فى هذا الصدد يعد من روائع الطب الوقائي، في وقت عاش العالم فيه فى خواء عقدي وظلام فكري وتخبط فى كثير من المسائل العلمية، فإن من مقاصد الإسلام بعد توحيد الله (عزّ وجلّ) التوحيد اللائق بجلاله (تعالى)، حفظ الصحة والعقل والمال والنفس والعرض، وتلك رسالته الخالدة الباقية بقاء الزمن، ومن ثَّم فقد حفل منهجه الكريم ـ الكتاب والسُنة ـ بالعديد من التوجيهات النافعة، والتكاليف العظيمة التي تصلح الإنسان، أينما كان منذ عصر البداوة إلي عصر الفضاء، ولم يبق إلا أن يُفهم الإسلام ويطبق تطبيقًا متكاملاً فى شتي نواحي الحياة.

بحيث يمثل المسلمون الإسلام رسمًا وحقيقة، فى العقيدة والشريعة والعبادات والمعاملات والأخلاق وسائر التكاليف الشرعية.

وحينئذ سيتحقق لهم بفضل الله (تعالى) العزّةُ والمنعةُ والسيادةُ فى (الأرض) في ظلّ العبوديّةِ الصادقةِ لله (عزّ وجلّ).

وباختصار سعادة الدنيا والآخرة فهل من مستجيب؟

(١) الله والعلم الحديث: الأستاذ/ عبد الرازق نوفل صـ ٢٠٤-٢٠٥، ط ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ والمؤلف كاتب إسلامي مشهور له مؤلفات عديدة فى هذا التخصص ـ الباحث.

تنبيه مهمّ:

الأمراض الوراثية ليست مضطردة في الزواج من الأقارب

قد يعزف كثير من الناس عن الزواج من الأقارب بعد أن يعرفوا الأخطار والأمراض التي تقررها الدراسات الوراثية وذلك في الحقيقة ليس على إطلاقه، وإلا لما أباح الإسلام الزواج من الأقارب مثل بنت العم والخالة، وطبق النبي ﷺ ذلك عملياً أم المؤمنين زينب بنت جحش (رضي الله عنها) أيضاً زواج أبنته فاطمة الزهراء من ابن عم أبيها الإمام عليّ رضي الله عنه.

وللأستاذ الدكتور / أحمد شوقي إبراهيم[1]:

كلام علميّ طيب تناول فيه أثر العوامل الوراثية على الزواج من الأقارب، وبين أنّ زواج الأقارب ليس عاملاً متطرداً في نقل الأمراض الوراثية ومما قاله:

في نواة كل خليه تسكن كل عوامل الوراثة ... والعوامل الوراثية هي المسئولة عن ظهور الصفات الوراثية في الجسم ... وتختلف العوامل الوراثية في القوة والفاعلية. فبعض عوامل الوراثة سائد وبعضها الآخر متنح.

والعوامل الوراثية السائدة هي تلك العوامل أو الموروثات التي لها القدرة وهى منفردة على الظهور بمعنى أن عاملاً وراثياً سائداً واحداً إذا انتقل إلى أحد الأبناء، تظهر عليه الصفة الوراثية التي يحملها ذلك العامل الوراثي السائد، مثل

---

(١) الأستاذ الدكتور أحمد شوقى إبراهيم ، له قدم راسخة فى مجال الإعجاز العلميّ فى القرآن والسنة ، بجانب كونه طبيبًا مشهورًا فقد (تخرج من كلية الطب جامعة القاهرة ١٩٥٢م، وحصل على دبلوم الأمراض الباطنة من إنجلترا عام ١٩٦٢م ، وزمالة طب المناطق الحارة من إنجلترا أيضاً عام ١٩٦٥م ؛ وعضوية كلية الأطباء الملكية (لندن وأدنبره عام ١٩٧١هـ – ١٩٧٢م)، كما يعمل حاليًا رئيسًا لقسم أمراض القلب بمستشفى ابن سينا التخصصى بالدقى بالقاهرة – بعد أن عمل مستشارًا للأمراض الباطنة بمستشفيات الكويت حتى عام ١٩٩٠.

صفة اللون الأسود للجلد تحملها مورثات سائدة، فإذا انتقل العامل الوراثي السائد للون الأسود سواء من الأب أو من الأم فستكون الذرية ذات جلد أسود اللون. إذاً العامل الوراثي السائد يعبر عن نفسه منفرداً...

أما العوامل الوراثية المتنحية: فهي تلك العوامل الوراثية أو الموروثات التي ليست لها القدرة على الظهور إلاّ إذا اجتمعت مع صفة منتحية أخرى.. إذاً العامل الوراثي المتنحي لا يعبر عن نفسه منفرداً .. ولا بد أن يكون زوجاً من العوامل الوراثية المتنحية لتظهر الصفة الوراثية .. وبعض العوامل الوراثية المتنحية تحمل صفات صحية حسنة وبعضها الآخر يحمل صفات مرضية.. ويقول كثير من العلماء أن الصفات الوراثية المتنحية تتجمع في الأقارب.. فإذا استمر زواج الأقارب جيلاً بعد جيل فإن الصفات المتنحية من كلا الأبوين تتجمع في الأبناء والأحفاد. وينتج عن ذلك أمراض وراثية في الذرية .. وتدل الإحصائيات الصحية أن أولاد العمة والعم، وأولاد الخال والخالة، يحملون نفس العامل الوراثي المتنحي بنسبة ١ :٨ وهذه النسبة تقل في غير الأقرباء .. وتزداد أكثر وأكثر في الأقرباء من الدرجات الأقرب أي أقرباء الدرجات الثلاثة الأولي..

ثم بين أن الزواج من الأقارب ليس هو المسئول الوحيد عن الأمراض الوراثية فقال:

دلت الدراسات الصحيحة أنّ زواج الأقارب ليس وحده المسئول عن الأمراض الوراثيّة في الذرية. وهناك أدلة كثيرة على ذلك:

١- إن ظهور الأمراض الوراثية في الذرية بسبب انتقال الصفات الوراثية المرضية المتنحية من كلا الأبوين ليست في زواج الأقارب فقط .. ولكنها تعتمد أساساً على مدي انتشار العامل الوراثي المرضي المتنحي بين أفراد الأسرة من ناحية، وأفراد المجتمع من ناحية أخرى. فإذا كانت تلك العوامل منتشرة في

أفراد الأسرة أعلى من انتشارها في أفراد المجتمع يكون الزواج من الأباعد أفضل، وإذا كانت تلك العوامل منتشرة في أفراد المجتمع من انتشارها بين أفراد الأسرة، فإن زواج الأقارب يكون أفضل.

نأخذ مثلاً على ذلك مرض الأنيميا المنجلية يزداد انتشاره في ذرية زواج الأقارب، إذا كانت العوامل المرضية المتنحية منتشرة بين أفراد العائلة أكثر من انتشارها في المجتمع.. أما إذا كانت العوامل المرضية المتنحية لمرضى الأنيميا المنجلية منتشرة في المجتمع أكثر من انتشارها بين أفراد العائلة، فإن زواج الأقارب يكون أفضل.. ففي بعض مناطق إيطاليا ينتشر العامل الوراثي المرضي المتنحي لمرض الأنيميا المنجلية بنسبة ١٠٪ .. وفي بعض مناطق نيجيريا يصل إلى ٤٠٪ .. فلو فرضنا أن أسرة أو قبيلة هناك كانت نقية وراثياً من تلك العوامل الوراثية المرضية، فإن زواج الأقارب يكون أفضل وأكثر ضماناً من زواج الأباعد.. وقس على ذلك في كثير من الأمراض الوراثية التي تنتقل بواسطة العوامل الوراثية المرضية المتنحية..

٢- في بعض الأحوال تكون في الأسرة صفات وراثية مرغوبة، مثل صفات الجمال أو الذكاء أو القوة أو طول العمر.. حينئذ يكون زواج الأقارب أفضل من زواج الأباعد، لضمان ظهور تلك الصفات المرغوبة في الذرية، ولقد كانت كليوباترا التي كانت تتصف بالطول والجمال والذكاء نتيجة زواج اثني عشر جيلاً متتابعاً من زواج الأقارب الأقربين.. وفي عصرنا هذا تعيش بعض القبائل علي جبال كنتكي بأمريكا وزواج الأقارب المقربين شائع بينهم، ومع ذلك ظهرت أجيال تتميز بصفات بدنية وعقلية ممتازة.

والعكس صحيح أيضاً إذا كان بالأسرة عوامل وراثية مرضية، فزواج الأباعد يكون أفضل من زواج الأقارب. إذ تتساوى الاحتمالات في زواج الأقارب

وزاج الأباعد حتى في هذه الحالات..

٣- الأمراض التي تنتقل بالعوامل المتنحية لا تشكل إلا نسبة صغيرة من الأمراض الوراثية، أما غالبية الأمراض الوراثية، فلا دخل لزواج الأقارب أو الأباعد بها .. مثل الأمراض الوراثية التي تنتقل بعامل وراثي مرضي سائد واحد من الأب أو من الأم، مثل التعظّم الغضروفي Achandro plasia ومرض التصلب الدرني Epilaia ومرض الداء البوليبي المعوى Polyposis ومرض مارفان .. وغير ذلك من الأمراض الوراثية..

٤- هناك أمراض يولد الطفل بها ولا علاقة لها بزواج الأقارب أو الأباعد بصفة مطلقة .. مثل الأمراض الناتجة من اختلاف عامل يسوس بين الزوجين .. وأمراض ناتجة عن تكسر الصبغيات مثل ما يسمي بالطفل المنغولي، وقد ثبت إحصائياً أن طفلاً واحداً من بين مائتي طفل يولد حياً به خلل كروموسومي.. ومن الأمراض الناتجة من قلة أو زيادة عدد الصبغيات الحاملة للعوامل الوراثية مرض Tuner والمولود يكون أنثي لا تتضج جنسياً. بالإضافة إلى صفات غير طبيعية كثيرة في الجسم، ومرض كلا ينفلتر، والمولود يكون ذكراً ولا ينضج جنسياً ويكون متخلفاً عقلياً، وأمراض أخري كثيرة..

إذاً فزواج الأقارب ليس سببا على الإطلاق في الغالبية العظمي من الأمراض الوراثية"(١). اهـ.

وهكذا.. تظهر عظمة التشريع الإسلامي، عندما يحرم الزواج من بعض النساء تحريماً أبدياً كألأم، والبنت، والجدة، والعمة، والخالة، ويبيح الزواج من ابنة

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي الحديث النبوي الجزء الأول ص ١١٧-١١٨، مكتبة نهضة مصر، ط٢، فبراير ٢٠٠٤م، القاهرة.

العم، والعمة، وابنة الخال، والخالة، إنْ نزلت.

لما في الزواج من المحرمات السابقات من قرب مباشر لا يمنع ظهور العوامل الوراثية المتنحية، لقرب هذه السلالات قرباً مباشرا، ولما في أباحه الزواج ممن عداهن لبعد الأجيال نسبياً، مما لا يتيح الفرص لظهور الصفات المتنحية بطريق مباشر.

وفي هذا بجانب كونه تشريعاً تعبدياً يثاب فاعله ويأثم تاركه شرعاً، فإن فيه وجهاً من وجوه الإعجاز العلمي وهو الحرص على تباعد السلالات، مما يؤدي إلى عدم ظهور الصفات المتنحية السالبة بصورة سريعة.

ألا ما أعظم الإسلام عندما يفهم فهماً صحيحاً، ويقف الناس على مقاصده السامية والتي في حاجة إلى أن يعرفها العالم كله، وذلك يلقي بالتبعة على الدعاة وعلماء المسلمين كل في تخصصه وكذا وسائل الأعلام في العالم الإسلامي، حتى تشرق شمس الإسلام من جديد على عالم لغته الأولي الآن التقنيات العلمية والاتجاه المادي فضلاً عما يسود العالم من الخواء الروحي في كثير من أرجائه.

النموذج الثالث : ما جاء فى القران الكريم عن تحريم إتيان المرأة وهى حائض

جاء قولة تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١]

حرم الإسلام إتيان المرأة وهى حائض وقد اثبت البحث العلميّ صحة ما ذهب إليه القران لما لذلك من إضرار ومخاطر جسيمة

---

(١) سورة البقرة الاية ٢٢٢

يقول الدكتور سبير وفاخوري:

"إن المعاشرة الجنسية أثناء الحيض، وخلال الأسابيع الأولي بعد الولادة، تؤدي أحيانا إلى إصابة المرآة بأمراض خطرة، بسبب انتشار الجراثيم بسهولة في المسالك التناسلية، مما يسبب لها عقما أكيدا، وذلك لأن شرايين الرحم بعد الولادة، وفي فترة الطمث تكون منتفخة ومفتوحة، يتدفق منها الدم إلى الخارج مما يسهل دخول الجراثيم بسهولة عن طريقها إلى الرحم وملحقاته، خاصة إذا كانت الاتصالات الجنسية ملوثة أو مشبوهة، لذلك ننصح الزوجين بالانقطاع تمامًا عن الممارسات الجنسية خلال فترة الحيض، وبعد الولادة، مباشرة والخلود إلى الراحة الجسدية"[1].

ويعلّق أيضاً الصيدليُّ عمرُ محمد عبد الله على تحريم المعاشرة الزوجية أثناء الحيض فيقول:

أ- في فترة الحيض يفرز جسم المرآة هرمونا خاصاً يختلف عن الذي يفرزه في الفترة الاعتبارية، وهذا الهرمون يجعل المرأة في عصبية، وتكون كارهة للمجامعة، ففي تركها في هذه الفترة احترام لمشاعرها وحالتها النفسية.

ب- يصاب الرحم فترة الحيض بتسلخات تشبه تسلخات الجلد، ويكون محتقنًا فتقل مناعته، ويكون أكثر عرضة للإصابة بالجراثيم، وربما أدى ذلك إلى زيادة جريان الدم والنزيف، وقد أسلمت طبيبة فرنسية متخصصة بجراحة الأمراض النسائية عندما أعدت دراسة عن الاتصال

---

(١) العقم عند الرجال والنساء أسبابه وعلاجه للدكتور/ سبيرو فاخورى، ص ٢٤١ - ٢٥٥، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٨٢، والاقتباس من الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسُنة: تأليف لولوه صالح حسين آل على، ص ٤٣٥

بالمرأة أثناء الحيض، وما يترتب على ذلك من أخطار، ولما علمت أن في القرآن الكريم نهياً عن ذلك أسلمت[1].

ج- دم الحيض بيئة مثالية لنمو الجراثيم، وقد يصاب مجري البول عند الرجال بالالتهابات نتيجة هذا الاتصال، فمن الأفضل لهما ابتعاد أحدهما عن الآخر فترة الحيض، ويشمل المنع أيضاً حالات النزيف والإجهاض والولادة.

د- تكون المرأة أكثر عرضة لالتهاب المهبل وعنق الرحم نتيجة دخول الجراثيم أثناء الجماع[2].

وهكذا يكشف الطب - حديثاً - عن الإضرار الصحية عند جماع المرآة أثناء الحيض، مما يثبت السبق القرآني والنبوي لهذه الأضرار، التي عبر عنها القرآن الكريم في أسلوب بليغ معجز بالأذى في قوله (تعالى): ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[3].

وتناولته السُنة بالنهي والاجتناب في قوله ﷺ "اصنعوا كل شئ إلا النكاح"[4].

---

(١) الطب الوقائي في الإسلام ص ١٠٢.

(٢) الطب الوقائي النبوي، د/ محمود الحاج قاسم: ص ٣٢، الموصل سنة ١٩٨٨، والاقتباسات من كتاب الطب الوقائي في الإسلام للعميد الصيدلي عمر بن محمود بن عبد الله، ص ١٠٣، ط، سنة ١٤١١هـ ـــ ١٩٩٠، دار الثقافة، الدوحة.

(٣) سورة البقرة الآية (٢٢٢) .

(٤) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحة كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها واخرجه ابو داوود كتاب الطهارة باب فى مؤاكلة الحائض ومجامعتها ج ١ رقم ٤٩٩-٥٠٠

وتلاحظ أن كلمة أذى جاءت نكرة، لتعم كل أنواع الضرر التي كشف عنها العلم والتي لم يكشف عنها بعد للرجل والمرأة على حد سواء، ولو كان الأذى يلحق طرفاً واحد فربما استعمل الأخر سلطانه الشهوي على الطرف المقابل وسبحان الله في خلقه وتقديره.

النموذج الرابع : الآيات التى تتناول الجبال فى القرآن

وردت كثير من الآيات فى القرآن الكريم تتناول الجبال ضمن الآيات الكونية التى تشير إلى عظمة الخالق وتوحيده وتلفت النظر إلى تكوينها وأنواعها واختلاف ألوانها وما فيها من معان وحكمة وجودها فى الأرض... الخ

فقد جاء قوله تعالى :

١- ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)﴾[١]

٢- قوله تعالى ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢)﴾[٢]

٣- وقوله تعالى ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)﴾[٣]

ووردت آيات كثيرة غير ذلك.

* * *

---

(١) سورة الغاشية الايات من ١٧ الى ٢٠

(٢) سورة النازعات الاية ٣٢

(٣) سورة النمل الآية ٨٨.

دراسة علمية عن الجبال:

تمهيد

الجبال آية كونية تشد العقل إلي الإقرار بعظمة وقدرة الله (تعالى) سواء كان هذا العقل لعوام الناس، حيث يبهره تكوينها من رمال وأحجار وصخور وتركيب هذه الصخور بطريقة عجيبة، وكذا اختلاف ألوانها من سواد وصفار وبياض وحمرة، أو كان العقل لخواص علماء الجيولوجيا الذين يقفون من خلال علمهم علي دقائق تركيب هذه الصخور، وما توصلوا إليه من المعادن الموجودة بداخلها مع اختلاف وظيفتها وكميتها وطريقة استخراجها وما يقع بباطن هذه الجبال أكثر تأثيراً في النفس من حيث طلاقة القدرة الإلهية فيه مما تراه بظاهرها، وإن كان كلاهما مدعاة إلي الإقرار بوجود الخالق (عزّ وجلّ)، ووجوب الإيمان به (تعالى)، والسجود له (عزّ وجلّ) علي الدوام.

الجبال آية كونية ونعمة ربانية:

تعد الجبال إحدى الآيات الكونية الأرضية التي تحمل طلاقة القدرة الإلهية والحكمة الربانية في هذا الخلق العظيم، وأيضا نعمة من نعم الله (تعالى) تعود بالنفع علي بني البشر سواء أدركوا ذلك أو لم يدركوه علي النحو المألوف، فاختلاف ألوان الجبال وكتلتها وكثافتها وقيمتها في تثبيت الأرض وما في باطنها من معادن عديدة كلها آيات ونعم في نفس الوقت، ومن ثم أمرنا الله (تعالى) بالتفكير في خلق الجبال علي أنها أحد الأدلة علي وجود الله (تعالى) وقدرته العظيمة في الخلق والإبداع فقال تعالى ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى

---

(١) سورة فاطر الآية ٢٧.

ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾[1]. وغير ذلك من آيات القرآن الكريم التي تظهر أهمية الجبال في تثبيت الأرض وكون الجبال رواسي فيها ووظائفها العديدة.

الجبال والعلم الحديث:

ظلت الجبال قرونا عديدة وما يعرف عنها إلا ظاهرها من حيث التركيب والشكل واللون والحجم وبعض الوظائف المتعلقة بنزول الأمطار وما فيها من أكنان تأوي الناس حينا من الزمن وعند تقدم العلم وجيولوجيا الأرض خاصة ظهر الكثير مما كان خافيا مما يشير حقيقة إلي عظمة الله عز وجل المقدرة لهذا الخلق العجيب في ظاهره وباطنه علي حد سواء. يقولُ الدكتور زغلول النجار وهو يتحدث عن الجبال في علوم الأرض:

" يعرف الجبل بأنه كتلة من الأرض ترتفع بارزة فوق ما يحيطها من اليابسة بشكل واضح، وتحيط بها حواف شديدة الانحدار، ويطلق مصطلح الجبل عادة على الارتفاعات التي تزيد علي ستمائة متر فوق مستوي سطح البحر، وإن كان هذا الارتفاع ليس محددا لأنه أمر نسبي يعتمد علي تضاريس الأرض المحيطة، ففي منطقة سهلة التضاريس قد يكون نصف هذا الارتفاع مناسبا للوصف بالجبل، وتوجد الجبال عادة متصلة من أطراف أو منظومات أو سلاسل جبلية طويلة، ولكنها قد تكون أحيانا علي هيئة مرتفعات فردية معزولة، وتتوزع الجبال عادة علي سطح الأرض في أحزمة طولية موازية لحواف القارات، أما في اتجاه "شمال جنوب" أو في اتجاه "شرق غرب" أو بانحرافات قليلة عن هذين الاتجاهين، ومن ذلك تم الاستنتاج الصحيح بأن تكون هذه الأحزمة الجبلية مرتبط بتحرك ألواح

---

(١) الغاشية الآيات ١٧ــ ٢٠

الغلاف الصخري للأرض، وبخطوط التصادم بين تلك الألواح خاصة عندما يهبط اللوح الصخري المكون لقاع المحيط تحت اللوح الصخري الحامل للقارة المقابلة فتتغضن وتتجمد الرسوبيات المتجمعة في الحوض المحيط الناتج عن تحرك قاع المحيط تحت اللوح الصخري الحامل للقارة، وتكشط بالتدريج لتضاف إلي حواف تلك القارة، كما تضاف إليها كل الصخور النارية والمتحولة الناتجة عن الانصهار الجزئي للوح الهابط تحت القارة، وعن إزاحته كتل من الصخور من نطاق الضعف الأرضي عند هبوط قاع المحيط فيه، وتشمل طفوحا بركانية وهيئات كثيرة المتداخلات النارية، والصخور المتحولة ومن هذا الخليط من الصخور الرسوبية والنارية والمتحولة تكون الأطراف والمنظومات والسلاسل الجبلية، علي هيئة أجزاء سميكة جداً من الغلاف الصخري للأرض، تنتصب شامخة فوق مستوي سطح البحر، وتمتد بأضعاف ارتفاعها إلي داخل الأرض لتطفو في نطاق الضعف الأرضي (وهو نطاق لدن، شبه منصهر، عالي الكثافة واللزوجة) تحكمها في ذلك قوانين الطفو كما تحكم جبال الجليد الطافية فوق مياه المحيطات، وعملية الطفو هذه هي التي تساعد الجبال بتقدير من الله (تعالى) علي أن تبقي منتصبة فوق سطح الأرض، وفي حالة من التوازن التضامني المعجز مع محيطها، وفي ذلك يقول الحق (تبارك وتعالي) : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية ١٧- ٢٠] وتصل حركة ألواح الغلاف الصخري إلي نهايتها عندما يتحرك أحد هذه الألواح الحامل لقارة من القارات في اتجاه اللوح المخروطي الحامل لقارة مقابلة، رافعا أمامه قاع المحيط الفاصل بين القارتين حتى يدفنه بالكامل تحت القارة المقابلة، بعد سحب كل الرسوبيات المتجمعة فوق هذا القاع وتكريسها مع ما يصاحبها من صخور نارية ومتحولة فوق حافة القارة الراكبة، وتصطدم القارتين اصطدامًا عنيفا يؤدي إلي

تكون أعلي السلاسل الجبلية من مثل جبال الهيمالايا. وتكون الجبال من خليط من الصخور الرسوبية والنارية المتحولة شديدة الطي والتكسر(١).

وهكذا تحمل الآيات الخاصة بالجبال فى القران الكريم ألوانًا من الإعجاز العلميّ فى كونها أوتادا للأرض، وكونها رواسى شامخات، وكونها تثبيت للأرض من أن تميد وتضرب، ولم تظهر هذه الآثار العلمية للجبال إلا حديثا، فكيف بالقران يقررها قبل ألف وأربعمائة عام إلاّ أن يكون وحيا أوحى إليه من قبل من خلق الجبال وهو أعلم بما فيها ووظيفتها.

النموذج الخامس : الآيات التى تتناول البحار فى القران الكريم

وردت آيات كثيرة تتناول البحار فى القران الكريم كآية من آيات الله عزّ وجلّ تشد الناس إلى ما فيها من منافع ومن ذلك قوله تعالى

١- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾(٢)

٢- قوله تعالى ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾(٣)

وعالم البحار عالم زاخر بالأشياء الكونية وما فيها من أسرار يكشف لنا طلاقة القدرة الإلهية فى الخلق والإبداع، ويشدنا إلى عظمة الله تعالى لما أودع فيها من نعم وما فيها عند هياجها من نقم، ولازالت البحار ميدانا فسيحا للدراسات العلمية رغم تقدم العلوم التكنولوجية فى هذا العصر

ومما يلفت ويدهش العلماءَ قولُه تعالى ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا

---

(١) من الجبال جدد بيض (سلسلة مقالات بعنوان من أسرار القرآن الكريم ــ الأهرام ١١فبراير سنة ٢٠٠٢صـ١٢.

(٢) سورة الفرقان الاية ٥٣

(٣) سورة الرحمان ايه ١٩ و٢٠

يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ هذه الآية التى يقف عندها العلم طويلا تفيد أن تداخل المياه العذبة فى المياه المالحة يحتفظ كل منهما بخصائصه، وهذا من سرّ من أسرار الله فى البحار، ومظهر من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى، فالمتبادر إلى الذهن أن المياه إذا اختلط بعضها ببعض يفقد كل نوع خصائصه وكثافته ودرجة ملوحته، فالعذب يصبح أكثر ملوحة، والمالح تقل ملوحته؛ لاختلاطه بالماء العذب، ولكن أكدت الأبحاث العلمية ما أدهش العلماء من احتفاظ الماء العذب بعذوبته داخل المياه المالحة، واحتفاظ المياه المالحة بملوحتها داخل المياه العذبة.

وعمّا أكّده البحثُ العلميّ حولَ هذا الموضوع اقتبسُ هذه النصوصَ:

١- " هناك برزخ بين البحرين يسميه علماء البحار " الجبهة "، تشبيها له بالجبهة التى تفصل بين الجبهتين، وبهذا يحافظ كل بحر على خصائصه التى قدرها الله له ويكون مناسبًا، لما فيه من كائنات حيه تعيش فى تلك البيئة

وهناك اختلاط بين البحرين رغم وجود هذا البرزخ، لكنه اختلاط بطئ يجعل القدر الذى يعبر من بحر إلى بحر آخر يتحول إلى خصائصه فى البحر الذى ينتقل إليه دون أن يؤثر على تلك الخصائص

اكتشف علماء البحار سرّ اختلاف تركيب البحار المالحة فى عام (١٢٨٤ هـ ١٨٧٣ م) على يد البعثة العلميّة البحريّة الإنجليزية رحلة (تشالنجر)، فعرف الإنسان أنّ المياه فى البحار تختلف فى تركيبها عن بعضها من حيث درجة الملوحة، ودرجة الحرارة، ومقادير الكثافة، وأنواع الأحياء المائية، فلقد كانت هذه الأسرار ثمرة رحلة علميّة استمرت ثلاثة أعوام، وهى تجوب فى جميع بحار العالم

وأقام الإنسان مئات المحطات البحريّة لتواصل خصائص البحار

المختلفة، فقرر العلماء أنّ الاختلاف فى هذه الخصائص يفصل مياه البحار المختلفة بعضها عن بعض، لكن لما لا تمتزج البحار وتتجانس رغم تأثير قوتى المدّ والجزر التى تحرك مياه البحار مرتين كل يوم، وتجعل البحار بحالة ذهاب وإياب، واختلاط واضطراب، إلى جانب العوامل الأخرى التى تجعل مياه البحر متحركة مضطّربة على الدوام

فلأول مرة يظهر الجواب على صفحات الكتب العلميّة عام (١٣٦١ هـ – ١٩٤٢م)، لقد أظهرت الدراسات الواسعة لخصائص البحار عن وجود خواص مائية تفصل بين البحار الملتقية وتحافظ على الخصائص المميزة لكل بحر من حيث الكثافة والملوحة والأحياء المائية والحرارة وقابلية ذوبان الأكسجين فى الماء ويكون الاختلاط بين ماء البحار عبر هذه الحواجز بطريقة بطيئة يتحول معها الماء الذى يعبر الحاجز الى خصائص البحر الذى دخل فيه

وهكذا يحدث الاختلاط بين البحار المالحة مع محافظة كل بحر على خصائصه وحدوده المحددة بوجود تلك الحواجز المائية بين البحار

وأخيرا تمكن الإنسان من تصوير هذه الحواجز المتحركة المتعرجة بين البحار المالحة عن طريق تقنية خاصة بالتصميم الحرارى بواسطة الأقمار الصناعية(١)

هكذا أكد البحث العلميّ سبق ما جاء فى القران الكريم عن اختلاط مياه البحار العذبة والمالحة واحتفاظ كل بحر بخصائصه، إشارة إلى عظمة قدرة الله تعالى ووجوب توحيده واتباع شريعته ولم يكن وقت نزول هذه الآيات منذ ١٤٠٠

---

(١) من أوجه الإعجاز العلميّ للقران الكريم فى عالم البحار من مطبوعات هيئة الإعجاز العلميّ للقران والسنة مكة المكرمة ص ٤٥الى ٤٧ تاليف كل من الشيخ عبد المجيد الزندانى والاستاذ محمد ابراهيم السمرة ود دركا برسادا راو

عام ما يشير إلى ذلك من الات أو تقنيات فى ذلك العصر

فمن أين عرف الرسول ﷺ البرزخ الذى يفصل بين البحرين كما ورد فـــى القران الكريم، رغم التقاء مائهما إلا أن يكون وحيا أوحى إليه ، وهذه هى الحقيقـــة الناصعة التى يؤكدها البحث العلميّ حديثا تشهد للقران بأنه وحى إلهى ليس لأحــد من البشر يد فيه .

***

المطلب الثانى

نماذج للإعجاز العلميّ فى أحاديث الرسول ﷺ

وهى على النحو التالى :

النموذج الأول : قوله ﷺ فبم يشبه الولد.

النموذج الثانى : قوله ﷺ إذا سقط الذباب فى إناء أحدكم.

النموذج الثالث : قوله ﷺ لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا

النموذج الرابع : قوله ﷺ النجوم أمنة للسماء

النموذج الخامس : قوله ﷺ إنّ التلبينة تجم فؤاد المريض

***

النموذج الأول : قوله ﷺ فبم يشبه الولد

أخرج البخاري بسنده فقال:

حدثنا مُسدّد، حدثنا يحي بن هشام بن عروه عن أبيه عن زينب بنت أبـي سلمة عن أم سلمة أنّ أمّ سليم قالت: " يا رسول الله إنّ الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة الغسل إذا احتلمت، قال: نعم إذا رأت الماء، فضحكت أم سلمة، فقالت: تحتلم المرأة؟ فقال رسول ﷺ فبم يشبه الولد "(١).

---

(١) مواطن الحديث:

(أ) أ خرجه البخاري فى صحيحه الجزء الأول صـ ٢٧٦ ، كتاب العلم باب الحياء فى العلـم من طريق أبي معاوية حدثنا هشام إلي آخر سند البخاري الأول، الجـزء الـسادس صـ ٤١٧كتاب بدء الخلق، باب قوله (تعالى): **"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّـي جَاعِـلٌ فِـي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"**، الجزء العاشر صـ ٥١٩ كتاب الأدب ـ باب التبسم والضحك من طريق محمد بن المثنى حدثنا يحيى بن هاشم ... إلخ.

(ب) وأخرجه مسلم فى صحيحه الجزء الأول صـ ٢٥١ كتاب الحيض باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها من طريق أبي معاوية عن هشام ...... الخ

تراجم الأعلام الواردة فى الحديث:

(أ) زينب بنت أبي سلمة:

هي زينب بنت عبد الله بن ملحان بن عبد الأسد المخزومى "أبي سلمة" ونسبت إلي الأم التي هي أم المؤمنين بيانًا لشرفها، لأنها ربيبة رسول الله (ﷺ)، وأشعار بأن روايتها عن أمها، وكـان اسمها برة فغيره النبي (ﷺ) إلي زينب، وكانت من أفقه نساء زمانها، وهي أخت عمر وسلمة ودرة، روي لها البخاري حديثًا واحدًا، ومسلم حديثًا آخر، ماتت سنة ثلاث وسبعين للهجرة. (رضي الله عنها) راجع (عمدة القاري الجزء الثاني صـ ١٨٤ بتصرف).

(ب) أم المؤمنين: أم سلمة رضى الله عنها.

هي : هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية، كانت ممن أسلم قديمًا هي وزوجها أبو سلمة، وهاجرت معه إلي الحبشة فولدت له سلمة، ثم هـاجرت إلي المدينة فولدت له عمر ودرة وزينب، فلما مات زوجها تزوجها رسول الله (ﷺ) سنة أربع=

يتناول هذا الحديث أمرين: الأمر الأول: فقهيّ. والأمر الثاني وراثيّ.

الأول : الأمر الفقهيّ:

فيتناول جانبًا يتعلق بالعبادة وهو وجوب الغسل[1]. عند الاحتلام، فقد سألت أم سليم رضي الله عنها الرسول ﷺ عن غسل المرأة إذا احتلمت فقال لها ﷺ نعم إذا رأت الماء، أي خرج منها المني، والمرأة فى ذلك كالرجل تماما فى هذا الحكم، وكثير من أحكام العبادات تتساوى فيها المرأة مع الرجل، إلا ما استثني الشرع الشريف، أخذاً بالتيسير على المرأة والتخفيف عنها في بعض هذه العبادات، كترك الصلاة أيام الحيض والنفاس.

=من الهجرة.

روت الحديث عن رسول الله (ﷺ) وعن فاطمة الزهراء، وعن زوجها أبي سلمة، وروي عنها ابناها عمر وزينب وأخوها عامر وابن أخيها مصعب بن عبد الله. ومن الصحابيات اللاتي روين عنها: صفية بنت شيبة وهند بنت الحارث الفراسية وقبيصية بنت ذؤيب. ومن كبار التابعين أبو عثمان النهدي وآخرون، وقيل إنها ماتت (رضي الله عنها) فى السنة التاسعة والخمسين من الهجرة وصلي عليها أبو هريرة (رضي الله) عنه وقيل غير ذلك، وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين ــ رضي الله عنهن جميعًا ــ الإصابة لابن حجر، الجزء الرابع، صـ ٤٣٩، دار الكتاب العربي، بيروت، بتصرف واختصار.

حـ) أم سليم الأنصارية.

هي: سهلة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية، واشتهرت بكنيتها (أم سليم) وهي أم أنس بن مالك خادم رسول الله (ﷺ). تزوجت مالك بن النضر فى الجاهلية، فولدت له أنسًا فى الجاهلية، وأسلمت مع السابقين إلي الإسلام من الأنصار، فغضب زوجها وخرج إلي الشام فمات بها، فتزوجها أبو طلحه بعد أن جعلت صداقها أن يدخل فى الإسلام فأسلم. روت عن النبي (ﷺ) عدة أحاديث، وروى عنها ابنها أنس وعبد الله بن عباس وزيد بن ثابت وآخرون ــ راجع الإصابة الجزء الرابع صـ ٤٤٢ باختصار وتصرف.

(١) يرجع إلي كيفية الغسل الشرعي أركانه وسننه فى كتب الفقه المتخصصة.

وكذلك ترك الصيام فى هذه الظروف، مع وجوب إعادة الصوم دون الصلاة، لتكرار الصّلاة كل يوم، بخلاف الصّوم فإنه مرّة واحدة فى العام، ومن ثمّ فإعادته لا ترهق المرأة بخلاف الصلاة، وغير ذلك مما نصت عليه الشريعة الإسلامية الغرّاء، التي تحرص على العدل بين الجنسين، ثم تكون الاستثناءات مراعاة لظروف المرأة النفسية والبدنية.

وعلى المرأة المسلمة الالتزام بهدي الإسلام، وستجنى سعادة الدنيا والآخرة إذا صدقت مع ربها في هذا الالتزام.

الأمر الثاني الوراثي: ما يتضمنه الحديثُ من إعجاز علميّ فيما يتعلّق بالصفات والسلالات الوراثية .

ويتمثّل فى قول النبي ﷺ " فبم يشبه الولد" .

فهذا إعجاز علميّ لرسول الله ﷺ حيث أثبت أن الولد يتخلّق من ماء الرجل والمرأة معًا، وأنّه في بعض الحالات يشبه أمه لغلبة الصفات الوراثية في منيّها على ماء الرجل، وهذا أمر لم يكن معروفاً وقت نزول الرسالة ولا قبله ولا بعده بعدةَ قرون، إذ لم يُعرف أثر العوامل الوراثية على الطفل من خلال مجموع صفات الأبوين أو أجدادهما إلا في العصر الحديث، أي منذ قرنين تقريباً، ولعل فيما ذهب إليه مندل فى علم الوراثة ما يثبت ذلك.

وجه الإعجاز العلمي فى الحديث:

أولاً: من تتبع آراء الباحثين التجريبيين فى قضية تكوين الجنين، يري أن لكل فريق من هؤلاء الباحثين اتجاهًا يغاير الآخر على النحو التالي:

الفريق الأول منهم يأخذ بنظرية التولد الذاتي، ومضمونها: أن الكائنات الحية تتولد من قبل نفسها فى ظل مناخ معين وحرارة معينة ومن مواد الأرض، أي

القول بالطبيعة المؤثرة بذاتها في خلق الكائنات الحية التي تدب على ظهـر هـذه الأرض.

وظلّت هذه النظرية قرونًا عدّة، منذ أنْ نادى بها " أر سطو"

حيث "رأى أنّ الأسماك تتولّد في الطمي، وأن الديدان تتولد في الكرنـب " أي ذاتيًا وأيده في ذلك العالم الطبيعي (جون نيدها) في القرن الثامن عشر الميلادي.

وفي القرن السّابع عشر جاء " فرانسكو ريدي" الذي شكك فى صحة نظرية التولد الذاتي، بتجربته الشهيرة من حفظه قطعة لحم في حيز خاص بعيدا عن تلوث الذباب، وبعد فترة تعفن اللحم دون ظهور الديدان عليه، ثم جاء " باستيل " فى القرن التاسع عشر وتساءل باستيل مع نفسه قائلاً: من الواضح أن هذه الكائنات الدقيقة لا بد وأن تأتي عن طريق ما ربما الهواء، وبتجاربه العديدة " استطاع أن يبين لنا أن الزبد يتزنخ بسبب تكون حامض البيوتريك، وأن هذا الحـامض بـدوره تنتجـه البكتريا، كما أوضح كذلك أن الخمر والبيرة تتخمر عن طريق النشاط البكتيـري، وأن التخمر يمكن وقفه إذا قضينا على " البكتريا " بواسطة الحرارة، وهكذا ظهرت العملية التي نطلق عليها " البسترة " وأمكن التعرف على المنشأ البكتيري لكثير من الأمراض"[1].

وتعلّق الأستاذة: إيمان أحمد الحجاوى على نظرية التولد الـذاتى، فتقـول: "وتتضمن هذه النظرية أن الحياة على اختلاف أنواعها تتولـد ذاتيـاً مـن مـواد الأرض.. ولقيت هذه النظرية الضربة القاصمة على يد (لويس باسـتيل ١٨٢٢ –

---

(١) فتوحات علمية تأليف والدمار كمفيرت ترجمة يوسف مصطفي الحاروني صـ ٢٥٥ ـ ٢٥٨ باختصار وتصرف شديد ط الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الإسرة ١٩٩٩ القاهرة.

١٨٩٥) الذى أثبت بما لا يقبل الشك أن الحياة لا تتولد إلا من حياة[١].

وأقول: أختلفُ مع صاحبة العبارة السابقة في قضية تحديد المصدر الذى وجه الضربة القاصمة لنظرية التولد الذاتى، فأقول: لم تكن الضربة القاصمة لنظرية التولد الذاتى على يد "باستيل الفرنسي"، بل صدرت عن طريق الوحى إلى رسول الله محمد ﷺ منذ أربعة عشر قرناً من الزمان أى قبل ميلاد باستيل بإثنى عشر قرناً، فقد قرر القرآن الكريم والسنة الصحيحة أنّ خلق الكائنات عامة والجنين خاصة بأمر من الله (تعالى)، لا كما يتصور "باستيل" أنها تأتى عن طريق ما ربما الهواء!

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الصدد كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[٢].

والأحاديث كثيرة منها الحديث السابق (فبم يشبه الولد).

الفريق الثاني: يذهب إلى أنّ الأم لا دخل لها في تكوين الجنين، وإنما العمدة في ذلك إلى نطفة الذكر وحده.

يقول الدكتور عبد الحليم كامل:

"كان العلماء يعتقدون إلى عصر "أرسطو" أن الأمّ لا دخل لها في تكوين الجنين، ولكنها نطفة الذكر التي تجد في بويضة الأم ما تجده البذرة في الأرض

(١) لا إله إلا الله مادياً: الأستاذة إيمان أحمد الججاوى ، ص٤٨٣ – ٤٨٤، التاريخ الطبيعي للصف الثالث الثانوي، تأليف عدلى كامل فرج وآخرون، ص٢٧٠، ط الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية ، ص١٩٧٧ ــ ١٩٧٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية (١٣).

الطيبة .. بينما يعتقد البعض أنّ البويضة في الأنثى هي التي تحتوى على الكائن الحي، وأنّه في القرن الثامن عشر ذهب أحد العلماء إلى أنّ البويضة وحدها دون الاستعانة بالحيوان المنوى تستطيع أن تعطى حيواناً كاملاً"(١).

الفريق الثالث: يرى هذا الفريق أن الكائنات الحية من الأجنة، تتكون من خلايا الذكر والأنثى، وهذا يتفق مع ما ذكره القرآن في هذا الخصوص.

يقول أيضاً الدكتور عبد الحليم كامل:

"وفي سنة ١٨٣٨م يكتشف العلماء أن الكائنات الحية تتكون من خلايا، وأن البويضة والحيوان المنوى خليتان مستقلتان، وهذا يتفق مع قول الله (تعالى) ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧﴾(٢).

وبعد هذا العرض السريع لآراء العلماء الباحثين في تكوين الكائنات الحية من الأجنة أقول:

لقد هدم القرآن الكريم والسُنة الصحيحة نظرية التولد الذاتى، والتي تذهب إلى أنّ الكائنات الحية تنمو وتتولد ذاتياً من مواد الأرض، أى بفعل الطبيعة دون تدخل من قدرة الله (تعالى) وإرادته وحكمته، مع أن الطبيعة في نفسها جماد يحتاج إلى مَنْ يحركه ويجعله يتفاعل بشتى أنواع التفاعلات الكيماوية وغيرها، وبالتالي تحتاج هذه الطبيعة إلى الله الذى خلقها ودبر كافة شئونها، وأودع فيها من الأسرار العظيمة، والقدرات المتفاوتة، والنتائج المحسوبة في علمه القديم، ما يجعلها تخرج إلى حيز الوجود على هذا النحو العظيم من الكمال والجمال اللذين يستحيلان أن

---

(١) مقال بمجلة منبر الإسلام عدد رجب، سنة ١٣٨٤هـ، ص١٢٨، والاقتباس من كتاب الجنين للدكتور/ مذكور سلام، ص١٦، مرجع سابق، والآيات سورة الطارق (٥ – ٧).

(٢) سورة الطارق، الآيات (٥ – ٧).

يكونا وليدى الصدفة أو نتيجة لتخبط أعمى.

ولعل ما جاء في القرآن الكريم والسُنة النبوية الشريفة في قضية خلق الإنسان، يعد إعجازاً علمياً سبقا به علماء العصر الحديث في الجزم بأن للرجل والمرأة الدور المتكامل في تكوين الجنين على حد سواء، لا يستغنى أحدهما عن الآخر أبداً في هذا التكوين، ليصبح سنّة عامة في التناسل البشرى من بعد الخلق الأول لأبى البشر آدم "عليه السلام" وزوجه "حواء"، وباستثناء أيضاً خلق المسيح "عيسى بن مريم عليه السلام" من أم دون أب، ليلفت الله (عز وجل) أنظار الناس إلى أن الأسباب لم تكن فاعلة بذاتها لحظة ما، بل بما أودع الله فيها من قدرة وإذن وفق مشيئته (تعالى) بالنتائج ليؤمن الناس بالله (عز وجل) عن يقين، بدل أن يركنوا ركوناً كلياً إلى الأسباب، يصل ببعضهم إلى حد الاعتقاد فيها إلى درجة المعبود وبذلك تتكامل صور الخلق الأربعة:

١- خلق من تراب نفخ الله فيه من روحه: "خلق آدم عليه السلام".

٢- خلق من ذكر فقط دون أنثي: "خلق حواء من أدم".

٣- خلق من أنثى دون ذكر: "المسيح عيسى بن مريم" عليه السلام".

٤- خلق سائر الناس من ذكر وأنثى عن طريق تلقيح بويضة المرأة بمنى الرجل، وهذه الصورة الأخيرة باقية ما بقيت الدنيا.

وكونُ القرآنِ الكريمِ والسنةِ النبويةِ يحسمان الأمر مقررين أن تكون الجنين من الذكر والأنثى معاً دون القول بالتولد الذاتى أو التولد عن طريق الأنثى فقط أو منى الرجل فقط، كما سبقت الإشارة إليه، فضلاً عن كونه إعجازاً علمياً، حيث لم يدخل النبي ﷺ معملاً يجرى التجارب ويستنتج النتائج فإنه في نفس الوقت يدل دلالة قاطعة على صدق نبوة الرسول ﷺ ، وأن هذه الحقائق التي جاء

العلم الحديث مؤكداً لها مصدرها الوحي الإلهي إليه ﷺ ، وأن الإسلام دين للدنيا والآخرة، دين للعلم والعبادة، للفرد والأسرة، والدولة والأمة، دون تناقض أو تضارب.

دين يحث أتباعه على متابعة العلوم العصرية ومعايشة الاكتشافات العلمية الحديثة، التي تبرهن في النهاية على عظمة الخالق للكون سبحانه وتعالى، المدبر لكل شئونه، مما يقتضى وجوب الإيمان به (تعالى) عن يقين، ويستوجب السجود له على الدوام لدى كل ذى عقل حصيف وقلب سليم وفطرة نقية.

ثانيًا: الشبه نتيجة العوامل الوراثية:

قول الرسول ﷺ "فبم يشبه الولد" أو "فيم يشبهها ولدها" إثبات لأثر العوامل الوراثية في السلالات البشرية من حيث اللّون والطول أو القصر والأمراض الوراثية.. الخ، ولا يخفى على أحد أن بعض الناس يشبهون آباءهم في بعض الصفات، أو يشبهون أمهاتهم بدرجة عالية في الشكل أو اللون أو غير ذلك، وكثيراً ما تأتى صفات الولد أو البنت مغايرة لصفات الأب أو الأم، وهذا يفسره العلماء بعوامل وراثية لأجداد سابقين أو جدات سابقات، وهكذا نتيجة الموروثات المتنحية.

يقول الباحث (عبد الوهاب عبد العاطى عبد الله) في هذا الصدد:

"فالنوع لا يتعدى نوعه أبداً ولا يعدو محيطه، لأن الأنواع في الطبيعة تقّومها الخصائص النوعية، وهي ثابتة في جوهريتها لا تغير فيها، وإنما التغير والتحول في الصفات العرضية فقط، فالإنسان هو الإنسان، لا يتعدى نوعه، ولا يخرج منه إلى نوع آخر منذ خلقه الله (تعالى) وإلى يوم الدين، ولكن الذى يطرأ عليه هو التغير في صفاته العرضية من بياض وسواد وطول وقصر وغير ذلك، وموجبه هو العامل الوراثي يعود إليه حسب مشيئة الله (تعالى) في خلقه مهما

تباعدت الأجداد والجدات، وإذا كان تأثير العضو البعيد في فصيلة قرابتــه كــذلك، فالقريب من أبيه وأمه أولى بالتأثير"[1].

وهكذا يكون قول الرسول ﷺ : "فبم يشبه الولد" إعجازاً علمياً سبق بــه ﷺ ما جاء به علم الوراثة في العصر الحديث، بخــصوص أثــر العوامــل الوراثيــة والموروثات المتنحية وغيرها على الإنسان، خاصة فى وقت كان الجهل بكثير من الحقائق العلمية يخيم على سكان المعمورة، ولم يكن أحد وقتها يعــرف أن الخليــة الذكرية والأنثوية مسئولةٌ عن الصفات الوراثية في الإنسان.

وليس مناسبًا أن يخاطب الرسول ﷺ الناس وقتها بلغــة الخليــة ـ التــي اكتشفت حديثاً ــ لو أطلعه عليها "جبريل" (عليــه الــسلام) ، فــذلك فــوق إدراك المخاطبين في صدر الرسالة، والخطاب الديني يبلغ أعلــى ذروتــه تــأثيراً فــي المخاطبين، عندما يتناسب مع إدراك عقول هؤلاء المخاطبين، فما بالنا والعرب في قمة البلاغة، فلو خرج الخطاب عن اللون المألوف من الفهم والإدراك لعُدَّ ذلك غير بليغ، مهما احتوى على حقائق علميّة أو اشتمل على اصطلاحات يكتشفها العلم بعد، فكيف والرسول ﷺ أُوتي جوامع الكلم ومن ثم فهو سيد البلغاء ﷺ دون نزاع.

وعلى ضوء ذلك يكون التعبير النبوى بلفظ (الشبه) هو المناسب، إذ يمكــن لكل الناس رؤيته بالعين المجردة، بدل الغوص في تفاصيل أخرى تحتاج إلى أجهزة يكون ذكرها في ذلك الوقت ضربًا من الخيال والأساطير، لعجز العصر حينها عن اكتشاف هذه الأجهزة.

وبالتالي يكون لفظ (الشبه) إعجازًا لغويًا لمراعاة ظروف الناس

---

(١) أطوار خلق الإنسان، ص ٢٠، للباحث: عبد الوهاب عبد العاطى، رسالة ماجــستير بمكتبــة كلية أصول الدين بالقاهرة.

ومداركهم وقتها، وإعجازًا علميًا في عصر المجاهر (الميكروسكوبات) الذى يقدر مدى الدقة عن مسئولية الخلايا التناسلية في وجه الشبه الكبير بين كل من خلايا الرجل والمرأة في الجنين الجديد.

وسبحان من علم الرسول ﷺ كل هذه العلوم، في كلمات قليلة يسهل حفظها ويعظم شرحها!

* * *

النموذج الثاني : قوله ﷺ إذا سقط الذباب

قـــال تعـــالى ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[1]. في معرض التهكم بعبّاد الأصنام.

أخرج البخاري بسنده فقال:

حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال قال: حدثني عتبة بن مسلم قـال أخبرني عبيد بن حنين قال سمعت أبا هريرة (رضي الله عنه) يقول: قال النبـي ﷺ : إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في إحـدى جناحيـه داء والأخرى شفاء"[2].

خطر الذباب:

من الثابت علميا أن للذباب خطره على صحة الإنسان، من خلال ما يحمله

---

(١) سورة الحج آية (٧٣).

(٢) **مواطن الحديث :**

أ) أخرجه البخاري في صحيحه جـ١٠، صـ٢٦٠-٢٦١ كتاب الطب باب إذا وقع الذباب في الإناء عن طريق إسماعيل بن جعفر عن عتبة بن مسلم ....إلخ

كتاب بدء الخلق باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ...الخ جـ٤ صـ١٥٨ (طـ دار الشعب).

ب) ولم يخرجه مسلم.

ج) وأخرجه أبو داود في سننه جـ٣ صـ٣٦٤ كتاب الأطعمة، باب الذباب يقع في الطعام عن أبي هريرة عن طريق سعيد المقبري وأخرجه ابن ماجه في سننه جـ١١٥٩ كتاب الطـب، باب يقع الذباب في الإناء من طريق مسلم بن خالد عن عتبة بن مسلم ...الخ.

د) وأخرجه النسائي في سننه جـ٧ صـ١٧٩ وأخرجه الإمام أحمد مسنده جـ٢ ، صـ٢٢٩ عن طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة ، صـ٢٤٦ ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبـرى جـ١ صـ٥٢ كتاب الطهارة، باب ما لا نفس له إذا مات في الماء القليل عن طريق سـعيد المقبري عن أبي هريرة.

من "ميكروبات" تتسبب في نقل الأمراض كالتيفود والكوليرا وغيرهما.

ونستأنس هنا بما كتبه الدكتور محمود عفيفي عن ا لأمراض التي يتسبب الذباب في الإصابة بها حيث يقول:

"فعن طريقها (أي الذبابة المنزلية) يصاب الإنسان بأكبر عدد معروف من الأمراض ومنها التيفود والكوليرا والسل والدوسنتاريا بنوعيها والرمد الصديدي والحبيبي والدفتريا والجذام والجمرة الخبيثة وشلل الأطفال والتراكوما والإسهال الصيفي والحميات المعوية، كما تنقل بويضات بعض الديدان المتطفلة .....

وتنقل الذبابة هذه الأمراض إلى الإنسان بطريقة آلية سهلة وكأنها عربة جراثيم متنقلة فهي تكثر التردد على المواد العضوية المتحللة، التي تعج بمختلف أنواع الميكروبات، فتتعلق الملايين منها بجسم الذبابة المغطي في كل أجزائه بالشعر الكثيف، وبخاصة في نهايات الأرجل، كما تدخل بعض الجراثيم جوف الذبابة مع ما تبتلعه من هذه المواد الملوثة، وعندما تحط الذبابة على طعام الإنسان أو شرابه أو أعضاء جسمه فإنها تلقي جزءاً من حمولتها من الميكروبات، أما بمجرد اللمس أو فيما تمجه عليها من لعاب أو ما تخرجه من جوفها من قئ وبراز"[١].

دعوة الإسلام إلى النظافة:

وهنا ندرك دعوة الإسلام إلى النظافة، وجعلها شطر الإيمان، سواء ما يتعلق بنظافة جسم الإنسان أو ثيابه، أو نظافة البيئة بيتا وشارعاً وسائر أجزاء البيئة المكانية، يقول الرسول الله ﷺ : "الطهور شطر الإيمان"[٢].

(١) الحشرات والإنسان ص ٩٣، مرجع سابق.

(٢) أخرجه مسلم جـ٢، ص ٤٥٦، كتاب الطهارة باب غسل رسول الله (ﷺ)، باب الصلاة نور والصلاة برهان..الخ ط، دار الخير، دمشق

لقد جعل الإسلام غسل جسم المسلم رجلاً أو امرأة فرضاً في حالة الجنابة أو الاحتلام أو عند الحيض والنفاس بالنسبة للمرأة، وجعله سُنة عند صلاة الجمعة والعيدين وغيرهما، كذلك فرض الإسلام غسل أعضاء الوضوء عند إرادة الصلاة عدة مرات في اليوم والليلة، مع نظافة الثياب بقوله (تعالى): ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1].

كلّ ذلك دعوة صريحة إلى النظافة، حتى يقي الإنسان نفسه من الأمراض التي يمكن أن تصيبه عن طريق الذباب أو غيره، وبذلك يتحقق شطر الإيمان أي نصفه أو جزء منه، ويكون الشطر الباقي دعوته إلى نظافة القلب من الحقد والغرور والكبر والرياء والاستبداد..الخ، وبذلك تتحقق النظافة الظاهرة والباطنة وهي أسمي ما ينشده الإسلام من أتباعه.

وتعتبر دعوة الإسلام إلى النظافة بكل صورها العمود الفقري في القضاء على هذه الملايين من الميكروبات، التي تحملها الذبابة بين أرجلها وداخل جسمها، وغيرها من الحشرات الأخرى، فإذا تصورنا صورة هذه الدعوة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، أدركنا عظمة هذا الدين، الذي دأب هديه على الاهتمام بصحة الإنسان في أي زمان ومكان.

وأدركنا أيضاً، أن رسالة الإسلام عالمية وشاملة، يستوعب منهجهُا كلَّ مطالب الحياة، من عصر البداوة إلى أرقي عصور الحضارة، وذلك راجع في الحقيقة إلى أنّ هذا الدين من عند الله نزل على رسوله محمد ﷺ خاتم أنبيائه بطريق الوحي، فلو لم يكن الإسلام ديناً لكان خير طريق في الحياة إلى الأمن والسلام والرخاء والصحة وانسجام العواطف ومسايرة الفطرة، فضلاً عن معرفة الله (عز وجل) وتوحيده التوحيد اللائق بجلاله (عز وجل).

---

(١) سورة المدثر الآية (٤).

التحليل العلميّ لبطن الذبابة وجناحيها

مما يحمد للعلم الحديث الحرص على تقرير الحقائق المجـردة، بصرف النظر عمن كانت عنده، أو جرت علي يديه دون مجاملة أو تعصب، ومنذ القرن التاسع عشر الميلادي والأبحاث العلمية قائمة على تحليل بطن الذباب وجناحيه دون قصد إلى تأكيد الحديث النبوي، ومن فضل الله ورحمته جاءت مؤيده لما جاء في الحديث الشريف ، ومن هذه الأبحاث:

١- كتب الأستاذان/ محمود كمال ومحمد عبد المنعم بحثا قيماً عن الذباب أنقل منه هذه الفقرات:

"وقد جاء في المراجع العلمية أن الأستاذ الألمانى "بريفلد" من جامعة (هال) بألمانيا وجد في عام ١٨٧١ أن الذبابة المنزلية مصابة بطفيل من جنس الفطريات سماها "أمبوزاسوسكي" من عائلة "انترمو فترالي" من تحت فصيلة "سيجوما بسس" من فصيلة "فيكيو ما يستس" ويقضي هذا الفطر حياته في الطبقة الدهنية داخل الذبابة على شكل خميره مستديرة، ثم يستطيل ويخرج على نطاق البطن بواسطة الفتحات التنفسية أو بين المفاصل البطنية، حتى يصبح خارج جسم الذبابة، وهذا الشكل يمثل الدور التناسلي لهذا الفطر، وتتجمع بذور الفطر داخل الخلية إلى قوة معينة تمكن الخلية من الانفجار وإطلاق البذور خارجها، وهذا سيكون بقوة رفع شديدة لدرجة تطلق البذور إلى مسافة حوالي ٢سنتمتر من الخلية بواسطة انفجار الخلية واندفاع السائل على هيئة رشاشي.. ورؤس الخلية المستطيلة التي تخرج منها البذور، موجودة حول القسم الثالث والأخير من الذبابة علي بطنها وظهرها، وهذا القسم الثالث أو الأخير دائما يكون مرتفعاً، عندما تقف الذبابة على أي مسند ليحفظ توازنها واستعدادها للطيران، والانفجار كما ذكرنا يحدث بعد ارتفاع ضغط السائل داخل الخلية المستطيلة إلى قوة معينة، وهذا قد يكون مسبباً من وجود نقطة

زائدة من السائل حول الخلية المستطيلة.

وفي وقت الانفجار يخرج من السائل والبذور جزء من السيتوبلازم من الفطريات، كما ذكر الأستاذ " لانجيرون " أكبر الأساتذة في علم الفطريات في عام ١٩٤٥م.

وهذه الفطريات تفرز أنزيمات قوية تحلل وتذيب أجزاء الحشرة الحاملة للمرض.

وفي جهة أخرى تم في سنة ١٩٤٧م عزل مادة مضادة للحيوية بواسطة "ارنشتين، وكول من انجلترا وننوليوس من سويسرا في سنة ١٩٥٠م" تسمي جافا سين من فطريات نفس الفصيلة التي ذكرناها والتي تعيش في الذبابة، وهذه المادة المضادة للحيوية تقتل جراثيم مختلفة من بينها الجراثيم السالبة والموجبة لصبغة جرام وجراثيم الدوسنتاريا والتيفود.

وفي عام ١٩٤٨م عزل بربان وكورتيس وهيهنج وجيفيرس وفاكجوان من بريطانيا مادة مضادة للحيوية تسمي " كلو تينيزين" من فطريات من نفس فصيلة الفطر الذي يعيش في الذبابة، وتؤثر على جراثيم السالبة لصبغة الجرام، من بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفود.

وفي عام ١٩٤٩م عزل كوكس وفارمر من إنجلترا، وجرمان وروت وانلنجر وبلاتز من سويسرا مادة مضادة للحيوية تسمي "انياتين" من فطريات من نفس صنف الفطر الذي في الذبابة، تؤثر بقوة شديدة على جراثيم جرام موجب وجرام سالب وعلي بعض فطريات أخرى من بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفود والكوليرا، ولم تدخل هذه المواد المضادة للحيوية بعدُ الاستعمال الطبي، ولكنها فقط من العجائب العلمية لسبب واحد، وهو أنها بدخولها بكميات كبيرة في الجسم قد

تؤدي إلى حدوث بعض المضاعفات، بينما قوتهـا شـديدة جـداً، وتفـوق جميـع المضادات الحيوية المستعملة في علاج الأمراض المختلفة، وتكفي كمية قليلة جـداً لمنع معيشة أو نمو الجراثيم التيفودية والدوسنتاريا والكوليرا، وما يشبهها.

وفي عام ١٩٤٧م عزل "موفيتس" مواد مـضادة للحيويـة مـن مزرعـة الفطريات الموجودة على جسم الذبابة، ووجد أنها ذاتُ مفعولٍ قـويٍّ فـي بعـض الجراثيم السالبة لصبغة جرام، مثل جراثيم التيفود لمقاومة الجراثيم التـي تـسبب أمراض الحميات، التي يلزمها وقت قصير للحضانة، وجد أن واحد جرام من هـذه المواد المضادة للحيوية يمكن أن يعقم أكثر من (١٠٠٠) لتـر لـبن مـن التلـوث بالجراثيم المرضية المذكورة، وهذا أكبر دليل على القوة الـشديدة لمفعـول هـذه المواد.

أمّا بخصوص تلوث الذباب بالجراثيم المرضية كجراثيم الكوليرا والتيفـود والدوسنتاريا وغيرها، التي ينقلها الذباب من المجاري والفضلات، أو البـراز مـن المرضي وهي الأماكن التي يرتادها الذباب بكثرة فمكان هذه الجراثيم يكون فقـط على أطراف أرجل الذبابة أو في برازهـا وهـذا ثابـت فـي جميـع المراجـع البكتريولوجية، وليس من الضروري ذكر أسماء المؤلفين أو المراجع لهذه الحقيقـة المعلومة.

ويستدلّ من كل هذا على أنه إذا وقعت الذبابة على الأكل، فستلمس الغـذاء بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية، التيفود أو الكوليرا أو الدوسنتاريا أو غيرها، وإذا تبرزت على الغذاء سيلوث الغذاء أيضاً كما لوث بأرجلها، أما الفطريات، التي تعزز المواد المضادة للحيوية والتي تقتل الجراثيم المرضية الموجودة فـي بـراز الذبابة، ولا تنطلق مع سائل الخلية المستطيلة من الفطريات والمحتوى على المـواد المضادة للحيوية " فلا تندفع" إلا بعد أن يلمسها السائل الذي يزيد الضغط الـداخلي

لسائل الخلية، ويسبب انفجار الخلية المستطيلة واندفاع البذور والسائل.

وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوي، الذي يؤكد ضرورة غمس الذبابة في السائل أو الغذاء إذا وقعت عليه الجراثيم لإفساد إثر الجراثيم المرضية، التي أشار إليها الحديث، وهى أنّ في أحد جناحيه داء، أي في أحد أجزاء جسمها الأمراض والمنقولة بالجراثيم المرضية التي حملتها، وفي الأخر شفاء، وهو المواد المضادة للحيوية التي تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها، والتي تخرج وتنطلق بوجود سائل حول الخلايا المستطيلة للفطريات"[1].

وهكذا يتّضح لنا بعض جوانب الإعجاز العلمي في أحاديث الرسول ﷺ والتي كلما تقدم العلم قدم المزيد حولها، مما يكشف عن عظمتها، ويثبت ويؤصل الإيمان في قلوب المؤمنين بها، حتى يصلَ إلى درجة اليقين، ويفتح المجال أمام غير المسلين للوقوف على دراسة الإسلام واعتناقه عن قناعه تامة، مادام يحوي هذه الحقائق الناصعة التي تقنع العقل وتشد القلب وليست موجودة فيما سواه من الأديان.

ولكون حديث سقوط الذباب في الإناء، تستغربه كثير من العقول فإن استجلاء حقائقه عن طريق الكشوف العلمية، يزيل الكثير من الغشاوة التي ترد علي هذه الأذهان، وهذا بعض ما تشير إليه الفقرات التالية:

١- "لقد خضع الذباب للعديد من الدراسات الحيوية والوراثية، وذلك بهدف الوصول إلى طريقة وقائية للتقليل من درجة خطورته في نقل العدوى،

---

(١) مجلة الأزهر الجزء السابع رجب سنة ١٣٧٨هـ ـ يناير سنة ١٩٥٩م ، المجلد الثلاثون ، والنقل من الفقه الواضح د/ محمد بكر إسماعيل ، جـ١، ص ١١٦، ط، دار المنار، القاهرة، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٩٠م.

ورغم أن الدراسات استهدفت مبدئيًا رسم خريطة حيوية ميكروبية للجراثيم المنقولة بواسطة الذباب، آلا أن نتائج الدراسات أكدت وجود مواد حيوية مثبطة لعمل هذه الميكروبات، وتتركز هذه المواد الحيوية في أحد جناحي الذباب، ويحكم ذلك التركيب التشريحي والوظيفي "الفسيولوجي" للذبابة، ولاتقاء تأثير هذه المواد الحيوية المثبطة "المضادة" تلجأ الميكروبات إلي الجناح الأخر، والمواد الحيوية المثبطة والموجودة على أحد جناحي الذبابة يتم إفرازها بمجرد ملامستها للوسط الخارجي "الطعام" كما تتميز بسرعة الانتشار والتأثير القاتل للميكروبات"[1].

٣- جاء في مجلّة التجارب الطبية الإنجليزية ما ترجمته!

"لقد أطعم الذباب من زرع ميكروبات بعض الأمراض، وبعد حين من الزمن ماتت تلك الجراثيم، واختفي أثرها، وتكونت في الذباب مادة مفترسة للجراثيم تسمي "بكتريوناج" ولو وضعت خلاصة من الذباب في محلول محلي لاحتوت على ما يأتي.

أ- البكتريوناج وهى مادة تبيد أربعة أنواع من الجراثيم المولدة للأمراض.

ب- مادة أخرى نافعة للمناعة ضد أربعة أنواع أخري من الجراثيم"[2].

٣- ألقي الدكتور إبراهيم مصطفي عبده يوم الخميس ١٩ شوال سنة

(١) موسوعة الإشارات العلمية في القرآن الكريم والسُنة النبوية تأليف د/ عبد الباسط الجمل، د/ دليا صديق الجمل ص ١٥٤، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، رقم الإيداع ٨٧٧٩ /٢٠٠٠.

(٢) مجلة التجارب الإنجليزية العدد ١٠٢٧، لسنة ١٩٢٧م، والاقتباس من كتاب الفقه الواضح حـ، ص ١١٩.

١٣٢٤هـ، في جمعية الهداية الإسلامية محاضرة جاء فيها ما ملخصه: "يقع الذباب على المواد القذرة المملوءة بالجراثيم، التي تنشأ عنها أمراض مختلفة، فينقل بعضها بأطرافه، ويأكل بعضها فتكون في جسمه مادة سامة تسمي مبعد البكتريا، وهي تقتل كثيراً من جراثيم الأمراض، ولا يمكن بقاء تلك الجراثيم حية، ولا يكون لها تـأثير في جسم الإنسان حال وجود مبعد البكتريا، وفي أحد جناحي الذباب خاصية تحويل البكتريا إلى ناحيته، فإذ سقط الذباب في شراب أو طعام، ألقـى الجـراثيم العالقـة بأطرافه في ذلك الطعام أو الشراب، فأول مبيد لتلك الجراثيم وأقرب واق منها، هو مبعد البكتريا، الذي يحمله الذباب في أحد جناحيه، فإذ كان هناك داء فدواؤه قريـب منه، وغمس الذباب كله وطرحه كاف في إبطال عملها"(١).

٤- قام فريق من الباحثين في جامعة الملك عبد العزيز بن سعود في جده منذ سنوات قليلة بحضور عميد كلية الشريعة وأصول الدين بأبها الدكتور/ عبد الله المصلح، بإجراء تجربة دقيقة لإثبات صحة هذا الحديث "لمن يصدق بالخبر فوجدوه صحيحاً صحة تامة، فلما وقع الذباب في ماء نقي تمامًا فحص الماء بعد ذلك فوجد أنه تلوث، ولما غمس الجناح الثاني وجد أن التلوث قد زال تمامًا من الماء، فسبحان الذي علم رسوله هذه العلوم الجمة، وصدق رسول الله ﷺ فيما، أخبر، وصدق أهل الحديث الذين حكموا بصحة هذا الحديث، وأودعوه أصح كتـاب، بعـد كتـاب الله تعالي(٢).

---

(١) مجلة الهداية المجلد الثالث عدد ذي ا لحجة سنة ١٣٤٩هـ، والاقتباس من الفقـه الواضـح ص ١١٩، مرجع سابق.

(٢) الإعجاز العلمي في السُنة، تأليف د/ صالح بن أحمد رضا، جـ ١، ص ٥٥٣ – ٥٥٤.

٥- تقدم أ.د/ مصطفى إبراهيم حسن[١]:

إلى المؤتمر الثامن للإعجاز العلمي المنعقد بالكويت ببحث بعنوان "الداء والدواء في جناحي الذبابة" تناول فيه الطرق والوسائل المستخدمة في البحث المتمثلة في:

١- جمع الذباب من محافظات القاهرة والجيزة وجنوب سيناء.

٢- ثم تشريح الذباب.

٣- عزل الكائنات الدقيقة.

٤- التحليل الحصري للنشاط ضد الميكروبي.

٥- عملية التخمر.

٦- استخلاص وتنقية المركب الأيضي.

٧- تقييم أقل تركيز مثبط للبكتريا (MIC).

وقد جاءت نتائج هذا البحث كما يقول: أسفر فحص جناحي كل من الذبابة المنزلية، وذبابة الإصطبل الكاذبة، ذبابة الرمل والبعوضة عن وجود تنوع كثيف وعديد لأنواع الكائنات الدقيقة المتواجدة عليها. ولقد سجلت أعلى كثافة عددية وتعدد لأنواع البكتريا والفطريات على جناحي ذبابة الإصطبل الكاذبة والذبابة المنزلية، تواجدت البكتريا موجبة الجرام بكثافة عددية أكبر من مثليتها في البكتريا سالبة الجرام، سجل الجناح الأيمن أعلى كثافة عددية من البكتريا موجبة الجرام في كل أنواع الذباب[٢].

---

(١) أستاذ الحشرات الطبية ومدير مركز أبحاث ودراسات الحشرات الناقلة للأمراض، كلية العلوم (بنين)، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

(٢) بحوث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الداء والدواء في جناحي الذبابة، ص٨٧.

وأقول وهذه الاكتشافات العلمية الحديثة عن جناحي الذباب ترد بقوة على دعوى أن الطّب النبويّ مستمدّ من تجارب العرب، كما يذهب إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته. فقد ذهب إلى أن رسول الله ﷺ لم يبعث إلينا، لا لتبيين الطب ولا لتبيين غيره من العلوم، بل لتعليم الدين وتبليغه فحسب، فالأحاديث المتعلقة بالطب النبوي ليست ملزمة العمل، إذ لا علاقة لها بالوحي، إنها تعكس عادات ذلك الوقت[1].

وإني أؤكد أن هذا الطبَّ النبويَّ مستمدٌ من الوحي ؛ وذلك للأسباب الآتية:

١- لا علم للعرب ولا لغيرهم في ذلك الوقت بما في جناحي الذباب من الداء والدواء.

٢- أن النبي ﷺ كان تارة يقيد ما كان مألوفاً لدي العرب وتارة أخرى يحرمه، مثال الأول: الكيّ وإن كان مشهوراً عند العرب إلا أن النبي ﷺ قال بعد أن أجازه "وأنهي أمتي عن الكي" وقد أثبت البحث العلمي الأضرار الناجمة عن الكي في شكل النتوءات التي تبرز في الجسم المكوى. ومثال الثاني: أن النبي ﷺ حرم التداوي بالخمر وكان يظن التداوي بها عند العرب قبل الإسلام على أنها شفاء، فلو كان الرسول ﷺ طبّه مستمداً من تجارب العرب أو عاداتهم لنقل نقلاً دون أن يغيّر أو يحرم أو يقيد، فضلاً عن الزيادات العلمية التي لم تكن معلومة لدي العرب أو غيرهم في ذلك الوقت، وهذا يفيد أن طبه ﷺ كان قائماً على الوحى.

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون، ج٢، ص ١١٧٢. الاقتباس من كتاب موسوعة الطب النبوي اطروحة دكتوراه للدكتور مصطفي خضر دونمز التركي، أستاذ الحيدث وعلوم بجامعة أوروبا الإسلامية ــ هولندا ص ١٠٩.

أمّا بخصوص أنّ جناحي الذباب يحتويان على الداء والدواء اللذين أخبر عنهم النبي ﷺ فليس هناك مانع عقلاً أن يخلق الله تعالي في أحد جناحي الذباب الداء في الآخر الدواء، فالأشياء كلها خاضعة لقدرته (عزّ وجلّ)، التي لا يعجزها سبب ولا يحيط بها عقل ولا يقيدها قيد، فخلق الأضداد في الكائن الواحد شيء هين على الله (تعالى) ما دام الخلق بيده وحده وأمره بين الكاف والنون مصداقاً لقوله (تعالى): ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾[1].

وليس مطلوباً منّا أن نجعل العقل وحده حكماً على الدين وقضاياه، فنقول كما يحلو للبعض أن يردد أن هذا أمر مرفوض، عندما لا يتفق شيء مع إدراك عقولهم، وننسي أنّ مجال الوحي فوق إدراك العقل وبخاصة إذا أخبر الوحي عن شئ يتعلق بالعلم التجريبي وأبحاثه أو الغيب، فما لا يكتشف اليوم قد يكتشف غداً، وما لا يعرفه أهل هذا القرن قد يعرفه أهل القرون القادمة، ولو قيل للناس أيام نزول الوحي على رسول الله ﷺ ، وقد ألفوا وسائل المواصلات البدائية، كالخيل والجمال والحمير، وأن الله (تعالى) سيعلم الإنسان في وقت ما، أن يصنع من القطع المعدنية وغيرها طائرة تطير فوق السحاب تحمل مئات الركاب، لاعتبروا ذلك القول من الأساطير والخرافات، أو أنّ الإنسان في وقت ما سيخترع من الأجهزة ما يمكنه تقسيم الثانية ــ وهى أصغر أجزاء الدقيقة ــ إلى واحد في الملايين، وهو ما يعرفه العلم بــ "الفموث ثانية"، حتى يمكن إرسال إشارة ضوئية عن طريق الليزر إلى القمر،ثم تعود في نصف ثانية وحتى أمكن أيضاً رؤية الذرة وتحركها وكيف تتلاحم هذه الذرات، وكيف تنفصل داخل الخلية بل كيف تنتقل ذرة من مكان إلى

---

(١) سورة النحل الآية (٤٠).

أخر كما يقول د/ احمد زويل العالم المصري[1].

كل ذلك كان في الزمن الماضي يعتبر ضرباً من الخيال، لكن ما كان في الزمن الماضي أقرب إلى المستحيل عقلاً، أصبح في عصر ظهوره معقولا وملموساً وواقعاً لا يحتاج إلى دليل لا ثباته!

من كان يتصور أن العالم كله سيتحول إلى شبه قرية صغيرة أو غرفة داخل منزل، بمجرد أن تضغط على عدة أزرار لأجهزة الاستقبال المرئية والمسموعة والمقروءة !

من كان يتصور أنه بإمكان الإنسان أن يتكلم مع الآخرين في أي مكان من المعمورة عن طريق جهاز" المحمول أو النقال"، مادامت شبكات القميرات الصناعية تؤدي دورها وتغطي المجال المطلوب، كل ذلك بفضل الله الذي قال: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[2].

والإنسان نفسه يوجد بداخله إفرازات عديدة، لكل منها وظيفتها الخاصّة وطبيعتها المختلفة، وهي نابعة من أصل واحد، فالطعام يدخل بطن الإنسان من

---

(١) مقال بالأهرام بعنوان أسرار الجنيوم يكشفها الدكتور زويل ص ٢٩ بتصرف في ٢٢ من ذي القعدة سنة ١٤٢١ـ ١٦ فبراير ٢٠٠١،

دكتور أحمد زويل/ ولد سنة ١٩٤٦، بدمنهور ـ البحيرة، تخرج في كلية العلوم جامعة الإسكندرية سنة ١٩٦٧م، حصل على درجة الدكتورة في دراسة الطيف من جامعة بنسلفانيا الأمريكية سنة ١٩٧٤م، عمل أستاذاً مساعداً في جامعة كاليفورنيا ثم أستاذاً مساعداً بجامعة كالتك ثم مدير للمركز القومى الأمريكي لأشعة الليزر، له مؤلفات عديدة في الليزر وتطبيقاته، وأشعة الطيف، له ثلاثمائة وثلاثين بحث علميا، حصل علي العديد من الجوائز العالمية، له اختراعه الشهير في علم "الفمتو ثانية" (انظر ـ أحمد زويل، تأليف محمد صديق المنشاوي ص ٧٠٢، باختصار وتصرف ط، دار القصية، القاهرة).

(٢) سورة العلق الآية (٥).

مدخل واحد، فيتحول إلى عدة إفرازات مختلفة منها البول، والمني، والعرق، والدم، والبراز، وجميع هذه الأشياء المفرزة نتيجة لطعام واحد مع اختلاف ألوانها ووظائفها ومخارجها.

ومن يتصور أنّ من مخرج البول يتدفق الحيوان المنوى أصل خلق الإنسان ذي الخصائص المتميزة عن سائر الكائنات عقلاً ومكانة ورسالة!

فالذي خلق هذه الإفرازات وأوجدها على هذا النحو الذي لا خلاف عليه، ليس مستحيلاً عليه أن يخلق اللاقمة في بطن الذبابة، لتقضي على الميكروبات المسببة لبعض الأمراض رحمة من الله (تعالى) بالإنسان ولفتة عظيمة إلي مظاهر قدرته (عز وجل).

وإشارة صادقة عند تقدم العلم التجريبي الحديث على إثبات نزول الوحي علي رسول الله ﷺ ، وصدقه ﷺ فيما بلغ عن ربه رسالته إلى الناس كافة على مدار الزمان والمكان، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمثل هذه العلوم والمعارف لا يحصل عليها الإنسان بتفكيره النظري فقط مهما صفت قرائح العقول، ولا يوقف عليها إلا من خلال التحاليل والتجارب، وكلاهما لم يكن في زمن النبي ﷺ ولا بعده بعدة قرون.

فضلاً عن كونه ﷺ أمياً بعث في أمة غلبت عليها الأمية، فلم يقرأ في كتب، ولم يدرس على معلم من البشر، ولم يدخل مدرسة ولا جامعة، ومع أن زمن هذه الاكتشافات لا يزيد عمرها عن نصف قرن، فإن ذلك دال على أن الله (تعالى) أوحى إلى نبيه ﷺ بذلك!

الحكمُ الشرعيُّ في غمسِ الذّبابِ:

علي أن غمس الذباب في الإناء الذي أشار إليه الحديث، ليس واجبا من الناحية الشرعية، كما هو ظاهر النص فيأثم تاركه، وإنما مرجعه إلى قبول النفس لذلك، فمن طابت نفسه للأكل أو الشرب بعد الغمس فهو مباح وليس بنجس، ومن لم تطق نفسه ذلك فلا إثم عليه ولا حرج في تركه أو إراقته .. فالثابت أن الرسول ﷺ كما جاء في الحديث "ما عاب رسول ﷺ طعامًا قط ما استطابه أكله وما لم تطبه نفسه تركه"[1].

وأيضاً لما رواه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن الضب فقال لست بآكله ولا محرمه،

وفي رواية قال خالد فأجتررته فأكلته ورسول الله ﷺ ينظر ولم ينه[2].

---

(١) مواطن الحديث:

أ) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأطعمة، باب في كراهة دم الطعام، ٣/٣٤٥ ح رقم ٣٧٦٣ عن أبي هريرة رضى الله عنه.

ب) وأخرجه الترمزى في سننه، كتاب البر، باب ما جاء في ترك العيب للنعمة ٤/٣٧٧ح رقم ٢٠٣١ عن أبى هريرة وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

(٢) مواطن الحديث:

أ) أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب الأطعمة باب الشواء وقول الله تعالى (فَجَـآءَ بِعِجْـلٍ سَمِينٍ) أى مشوى ٣/٤٢٤ ـ ٤٢٥ح رقم ٥٤٠٠ عن ابن عباس عن خالد بن الوليد.

ب) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة بلفظ عن ابن عمر يقول سئل النبي (ﷺ) عن الضب فقال: لست بآكله ولا محرمه وفي رواية قال خالد فاجتررته فأكلته ورسول الله (ﷺ) ينظر ولم ينهي ـ كتاب الصيد باب إباحة الصيد حـ٣، ص ١٥٤١ - ١٥٤٢،

ج) وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الأطعمة باب ما جاء في أكل الصيد حـ٤، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢، عن ابن عمر وقال أبو عيسي هذا حيث حسن صحيح ، ٣٧٩٤.

وبعد..

فلعل التوجيه بالغمس جاء من أجل بيان الإشارة العلمية التي سيكتشفها العلم الحديث فيما بعد عصر النبي ﷺ بقرون للدلالة، على أن هذه الرسالة لكل البشر، وسيشاهد كل جيل من أثار عظمة هديها، ما يكون معجزة وإعجازاً أمام العقل وكشوف العلم من جهة، ولتقرير الحقائق الهامة التالية من جهة أخرى:

١- أنّ هذه الرسالة قائمة على الوحي وليس الهوى.

٢- أنّ اتباعها والانقياد لهديها خير ضمان لسعادة المؤمنين بها في الدنيا والآخرة وقت تطبيقها التطبيق الأمثل وفهمها الفهم الجيد.

٣- أنّ معجزاتها ليست مقصورة على العصر الأول للرسالة، كما هو شأن الرسل السابقين، حيث كانت معجزاتهم مقصورة على المشاهدين لرسلهم، أما وأن الإسلام هو الرسالة الخاتمة الخالدة، فإن معجزاته تبقي وتظل باقية بقاء البشر على وجه الأرض لتقيم عليهم الحجة تلو الحجة بوجوب اتباعه والانقياد له، دون جدل أو تعصب.

وتلك خاصية الإسلام، أنه يحمل المنهج والمعجزة معاً، وصدق الله إذ قال: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[١].

النموذج الثالث : قوله ﷺ إن التلبينة تجم فؤاد المريض

١- أخرج الأمام البخارى بسنده فقال :

حدثنا حبان بن موسى، أخبرنا عبد الله حدثنا يونس بن زيد عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضى الله عنها " أنها كانت تأمر بالتلبين للمريض

---

(١) سورة فصلت الآية (٥٣).

والمحزون على الهالك وكانت تقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: " أن التلبينة تجم فؤاد المريض وتذهب بعض الحزن "[1] .

٢- الدراسة العلمية عن التلبينة:

التلبينة يقصد بها دقيق الشعير بنخالته بعد أن يمزج بالماء ويغلى ويضاف إليه اللبن أو العسل وقد أثبتت الدراسات العلمية أن لها فوائد جمة حيث لا يستغنى عنها من يعرف ما تحتوى عليه من منافع صحية.

يقول صاحب الموسوعة الذهبية عن فوائد التلبينة الصحية:

" تقى من أمراض القلب وتصلب الشرايين التاجية والذبحة الصدرية وأعراض نقص التروية Ischemia، واحتشاء القلب Heart infarction يثبت العلم الحديث وجود مواد تلعب دوراً فى التخفيف من حدة الاكتئاب، كالبوتاسيوم، والماغنسيوم، ومضادات الأكسدة وغيرها، وهذه المواد تجتمع فى حبة الشعير التى وصفها نبى الرحمة ﷺ بأنها تذهب ببعض الحزن.

وتستخدم التلبينة فى علاج الاكتئاب والحزن لما تحتويه من مواد هامة هى:

١- عنصرى البوتاسيوم والماغنسيوم.

٢- فيتامين (B) حيث أن أحد مسببات أعراض الاكتئاب والتأخر فى العملية الفسيولوجية لتوصيل نبضات الأعصاب الكهربية هو نقص فيتامين (B) لذلك ينصح مريض الاكتئاب بزيادة الكمية المأخوذة من بعض المنتجات التى تحتوى على هذا الفيتامين كالشعير.

---

(١) مواطن الحديث:

أ) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الطب باب التلبين للمريض حديث رقم ٥٦٨٩.

ب) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب التلبينة مجمة لفؤاد المرضي رقم ٢٢١٦.

٣- مضادات الأكسدة، حيث يساعد إعطاء جرعات مكثفة من حساء التلبينة الغنية بمضادات الأكسدة (فيتامين (A & E) فى شفاء حالات الاكتئاب لدى المسنين فى فترة زمنية قصيرة تتراوح من شهر إلى شهرين.

٤- الأحماض الأمينية: حيث يحتوى الشعير على الحمض الأمينى تريبتوفان Tryptophan الذى يسهم فى التخليق الحيوى لإحدى الناقلات العصبية وهى Serotonin التى تؤثر بشكل بارز فى الحالة النفسية والمزاجية للإنسان.

للتلبينة دور هام فى مقاومة الأمراض والحفاظ على الأغشية الخلوية، وإبطاء عملية الشيخوخة، وتأخير حدوث مرض الزهايمر والوقاية من السرطان.

تحتوى التلبينة على الميلاتونين الطبيعى غير الضار..

والميلاتونين هرمون يفرز من الغدة الصنوبرية الموجودة فى المخ خلف العينين وأهميته:

١- الوقاية من أمراض القلب وخفض نسبة الكوليسترول فى الدم.

٢- يعمل على خفض ضغط الدم.

٣- يعمل على الوقاية من مرض الشلل الرعاش عند الكبار.

٤- يزيد الميلاتونين من مناعة الجسم.

٥- يعمل على تأخير أعراض الشيخوخة.

٦- له دور هام فى تنظيم النوم واليقظة.

تعالج التلبية ارتفاع السكر والضغط.

التلبية تعمل كملين ومهدئ للقولون.

وأكدت البحوث العلمية أهمية الشعير (والتلبينة) فى تقليل الإصابة بسرطان القولون"[1] .

٣- وجه الإعجاز العلميّ فى حديث التلبينة:

بعد هذا العرض الذى احتوت عليه التلبينة ومدى أثره على الصحة العامة على الإنسان وخاصة فى خفض الكليسترول فى الدم ووقاية القلب من مرض (تصلب الشرايين) والذبحة الصدرية وعملها على إزالة أعرض الاكتئاب واحتوائه على مضادات الأكسدة فضلاً مما تحتوى عليه من الأحماض الأمينية، والميلاتونين، وغير ذلك مما يعود بالصحة على الإنسان، فإن السؤال الذى يطرح نفسه من الذى علم الرسول ﷺ أن هذه التلبينة تجم الفؤاد وتذهب بعض الحزن فى كلمات وجيزة تحمل من الحقائق العلمية ما سبق بعضه وهو الذى لم يدرس في جامعة ولم يحلل مادة مما تحتوى عليه هذه التلبينة وبذلك لم يبق إلا أن يكون قوله ﷺ وحياً أوحى إليه من الله عز وجل ليبرهن من قريب على أن رسالة الإسلام قائمة على الوحى الإلهى فى كتابها وسنة نبيها ﷺ الصحيحة، وأنها للإنسان صحة وعقلاً وحياةً هنيئة بجانب كونها تعبداً لله عز وجل.

ألا ما أحوجنا إلى فهم الإسلام والوقوف على كنوزه العظيمة التى تعمل على سعادة المسلمين فى هذا العصر الذى طغت فيه المادةُ، واستبدّ به الهوى، وسادت فيه الأنانيةُ وتربعَ الشيطانُ على قلوب الكثيرين من الملايين الذين يسكنون بقاع المعمورة.

---

(١) كتاب العلاج بالتلبينة، عبد الكريم التاجولى، وكتاب الغذاء ودوره فى تنمية الذكاء د/ نبيل سليم على وكتاب الطب البديل د/ هاريس مايلون وكتاب الطب البديل: مداواة بلا أدوية د/ محمد الموخزنجى (بتصرف واختصار) بكتاب الموسوعة الذهبة صـ ١٠٧٣ ـ ١٠٧٥ مرجع سابق.

النموذج الرابع : قوله ﷺ النجوم أمنة للسماء

أخرج الأمام مسلم بسنده قال:

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وإسحق بن إبراهيم وعبد الله بن عمر بن أبان كلهم عن حسين ـ قال أبو بكر: حدثنا حسين بن على الجعفى، عن مجمع بن يحيى عن سعيد بن أبى بردة، عن أبى بردة، عن أبيه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء! قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: "ما هاهنا" قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلى معك العشاء. قال: "أحسنتم ـ أو أصبتم" قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: "النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابى فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون وأصحابى أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون"(١) .

المعنى العام للحديث

يتناول هذا الحديث الشريف قضية مهمة من قضايا الإيمان، وهى منزلة الصحابة رضى الله عنهم أجمعين.

وكما هو معلوم أن للصحابة مكانةً عاليةً فى الإسلام، فقد جاء مدحُهم والثناء عليهم فى كتاب الله صريحًا حيث قال عزّ وجلّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

---

(١) مواطن الحديث:

أ- أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة ـ باب بيان أن بقاء النبى (ﷺ) أمانًا لأصحابه وبقاء أصحابه أمانًا للأمة حديث رقم ٢٥٣١.

ب- أخرجه أحمد فى مسنده جـ ٤ عن أبى موسى

جـ- وأخرجه أبو يعلى فى مسنده عن سلمة ابن الاكوى وحسنه السيوطى.

﴿تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾[2].

وأيضًا قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[3] .

وأيضًا قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾[4] .

فالله تعالى لا يرضى عن قوم إلا لعلمه بهم أنهم أهلٌ للرضا ولا يرضى عن قومٍ ثم يسحب رضاه عنهم، فذلك لا يليق بجلال الله تعالى وكماله ولا يرضى عن قوم جهلا منه... فالجهل على الله تعالى مستحيل.

وفى السنة الكثير من الأحاديث التى قالها النبى ﷺ فى فضل الصحابة تارة على سبيل الإجمال وتارةً أخرى على التفصيل، ومن ذلك قوله ﷺ :"لا يبغض الأنصار إلا منافق"[5] .

ومن أراد المزيد فليقرأ فضائل الصحابة (المهاجرين والأنصار) فى كتب

---

(١) سورة التوبة الآية (١٠٠)

(٢) سورة الأنفال الآية (٦٢)

(٣) سورة الفتح الآية (١٨)

(٤) سورة الفتح الآية (٢٩)

(٥) **مواطن الحديث:**

أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضل الأنصار حديث رقم ٣٥٢٢.

السنة مثل صحيح البخارى ومسلم وغيرهما.

كما بين النبىّ ﷺ فضل آل بيته فى أحاديث كثيرة واردةً فى الصحيحين وغيرهما، مثل قوله ﷺ في فضل الإمام الحسن (رضى الله عنه): "اللهم أني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه"[1] .

وفي فضل الحسين رضي الله عنه ما روته السيدة عائشة: "خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن على فأدخله ثم جاء الحسين فدخل عه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء على فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[2].

للصحابة دور عظيم فى نصرة الإسلام فهم أوتاده كما أن الجبال أوتاد الأرض، فقد دافعوا عن الإسلام بأموالهم وأنفسهم ومات الكثير منهم شهيدًا فى نصرته.

كما جعلوا حياتهم كلّها لله نصرة، وجهادًا، وعلمًا، وتعليمًا، إلى غير ذلك من المحامد العظيمة التى لا يعلم قدرها إلا الله، ولا يأجرهم عليها إلا الله سبحانه وتعالى.

ولقد أخبر النبى ﷺ أن وجوده حصن حصين لأصحابه رضى الله عنهم

---

(١) مواطن الحديث:

١- أخرجه الإمام البخارى كتاب البيوع باب ما ذكر في الأسواق حديث رقم ١١٢٢، كتاب فضائل الصحابة باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما رقم ٣٧٤٩،

٢- وأخرجه الإمام مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما حديث رقم ٢٤٢١.

(٢) أخرجه الإمام مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضل أهل بيت النبي (ﷺ) حديث رقم ٢٤٢٤، والآية من سورة الأحزاب رقم ٣٣.

فلا ينال من قدرهم، أو يحط من منزلتهم أحد وهو موجود بين أظهرهم ﷺ.

كما أخبر ﷺ أنه بعد وفاته سينال من أقدارهم أناس ويلحقون الأذى ببعضهم وهم جميعًا براء من ذلك.

ولا يصلُ إيمانُ أحدٍ من المسلمين إلى درجة اليقين، إلا إذا أحبّ أصحاب رسول الله، كما يحبّ آل بيت رسول الله فهما الجناحان اللذان يطير بهما المؤمن إلى الإيمان الحق واليقين الصادق بعد التمسك بالقران والسنة والعمل بمقتضاهما.

فمن أحبّ الصحابة ولم يحبّ آل البيت فهو مخدوع فى إيمانه ويضحك عليه الشيطان، ومن أحب آل البيت ولم يحب الصحابة فهو كذلك.

وكمال الإيمان أن يجمع المؤمن بين حب هذين الصنفين من الناس الذين يعتبران قمم الإيمان الشامخة منذ بعثة النبى ﷺ عندما يريد إنصاف الحقيقة.

وماذا يقول من يدعى حب رسول الله ﷺ حباً حقيقيًا يوم القيامة أنه أحب هؤلاء دون هؤلاء فهذا ينم عن عدم الوقوف على روح الإسلام مع أن نصوص الكتاب والسنة صريحةً على حب هؤلاء جميعاً دون تفريق.

وقد أخبر النبى ﷺ أنه إذا ذهب أتى أصحابه ما يوعدون، وأنه إذا ذهب أصحابه أتى أمتى ما توعدون، والمعنى سيسود الشقاق والفرقة بين صفوف الأمة ويصل بهم الحال إلى الاضطراب والفوضى الإيمانية.

فالصحابة رضوان الله عليهم فضلاً عن كونهم جاهدوا فى نصرة الإسلام فقد حملوا أيضاً الحديث عن رسول الله ﷺ رجالاً ونساءً، فمن ترك الأخذ برواياتهم عن رسول الله ﷺ التى تمثل عصب الأحكام الإسلامية والعمود الفقرى لقضايا التشريع فقد أضاع الكثير وعمل على هدم الدين وهو لا يدرى.

من هنا كان توجيه النبى ﷺ وتحذيره عن التفريق بين صفوف الأمة ممثلاً

فى حبّ الصحابة وعدم بغضهم، داعياً إلى حبّ الجميع الذى يعبر عن حقيقة حبّ رسول الله ﷺ ويتفق مع نصوص الكتاب والسنة الداعية إلى وحدة الأمة بعد توحيدها لله عز وجل فى قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾[1] .

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[2] .

وقد اشتمل حديثُ هذا المطلب على وجه من وجوه الإعجاز العلميّ التى سبق بها كشوف العصر الحاضر بقرون، وذلك فى قوله ﷺ : "النجوم أمنة للسماء"

فكيف تكون النجوم أمنة للسماء؟

هذا ما سيجيب عنه المطلب التالي:

أستأنس فى الإجابة عليه بما ذكره الدكتور/ زغلول النجار حيث قال:

"النجوم أمنة السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد" وذهاب النجوم انكدارها وطمسها، وما توعد السماء كشفها، وانشقاقها، وانفطارها، وانفراجها، وتحولها إلى شئ كالمهل وإتيانها بالدخان.

والنجوم هى أجرام سماوية منتشرة بالسماء الدنيا، كروية الشكل أو شبه كروية، غازية، ملتهبة، مضيئة بذاتها، مرتبطة مع بعضها البعض بقوى الجاذبية على الرغم من بنائها الغازى، وهى عظيمة الكتلة والحجم، عالية الحرارة، وتشع كلاً من الضوء غير المرئى والمرئى، بجميع موجاته.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٣)

(٢) سورة الحجرات الآية (١٠)

والنجوم تمرّ فى دورة حياتها بمراحل من الميلاد إلى الشباب والشيخوخة قبل أن تنفجر، أو تتكدس على ذاتها فتتكدر ثم تطمس، أو تنفجر قبل ذلك أو بعد ذلك فتعود إلى دخان السماء لتدخل فى دورة ميلاد نجم جديد.

ويقضى النجم ٩٠٪ من عمره فى مرحلة النجوم العادية الشبيهة بشمسنا قبل انفجارها أو انكدارها أو طمسها، وقد تنتهى المرحلتان الأخيرتان بالانفجار كذلك.

والنجوم هى أفران ذرية كونية هائلة يتم بداخلها سلاسل من التفاعلات النووية تعرف باسم عملية الاندماج النووى ينتج عن طريقها تخليق جميع العناصر التى تحتاجها كل من الأرض والسماء الدنيا.

وبالإضافة إلى قوى الجاذبية التى تربطُ نجومَ السماءِ الدنيا ببعضها البعض ربطاً محكماً، فإن هناك أعدادًا من القوى التى تمسك بالمادة فى داخل الأرض وفى داخل كل جرم سماوى، وفى صفحة السماء الدنيا، ونعرف من هذه: القوى النووية الشديدة، والقوى النووية الضعيفة، القوة الكهربائية/ المغناطيسية (الكهرومغناطيسية)، وهذه القوى الأربع هى التى تمسك بالمادة والطاقة فى الجزء المدرك من الكون.

ونظراً لضخامة كتل النجوم فإنها تهيمن بقوى جذبها على كل ما يدور فى فلكها من كواكب، وكويكبات، وأقمار، ومذنبات وغير ذلك من صور المادة، والنجوم ترتبط فيما بينها بالجاذبية، وتتجمع فى وحدات كونية أكبر فأكبر مرتبطة فيما بينها بالجاذبية أيضاً، فإذا انفرط عقد هذه القوى انهارت النجوم وانهار الكون بانهيارها.

وهنا تتضح روعة التعبير النبوى الشريف: "النجوم أمنة السماء، فإذا ذهبت

النجوم أتى السماء ما توعد...".

وهذه الحقائق لم يتوصل الإنسان إلى إدراكها إلا فى القرن العشرين، ونطق المصطفى ﷺ بها من قبل ألف وأربعمائة سنة بهذه الدقة العلمية، فى زمن كان أهل الأرض غارقين إلى آذانهم فى محيط من الجهل، والظلام، والخرافات، والأساطير – لهو أمر معجز حقًا، ولا يمكن أن نجد له من تفسير إلا الصلة بالخالق (سبحانه وتعالى) عن طريق الوحى[1].

ويتضح جليًا ما فى هذا الحديث من إعجاز علمي، جاء على لسان رسول الله ﷺ فى قوله: "النجوم أمنة السماء"

فمن أعلم الرسول ﷺ بهيمنة النجوم وقوة جاذبيتها حتى تصبح أماناً وحصناً لما حولها وهذا عمل لا ينال إلا بعد دراسات مستفيضة فى علوم الفلك والفيزياء وغير ذلك من العلوم التى ترتبط بالكون، فضلاً عن الأجهزة المطلوبة لتحقيق مثل هذه الكشوف ورصد مثل هذه النتائج.

والعصر الذى عاش فيه الرسول ﷺ لم يكن فيه شئ من هذه المقومات، فضلاً عن البيئة العربية التى عاش على أرضها، وأستظل بسمائها، فضلاً عن غلبة الأمية فى هذه البيئة، حتى كان السواد الأعظم من الناس لا يعرفون كتابة أسمائهم. ولم يسجل تاريخ الحضارات اليونانية، أو الهندية، أو الصينية، أو المصرية أو أى حضارة فى هذا الوقت، مثل هذه المعارف والعلوم المتعلقة بالكون، والنجوم، ووظائفها... الخ.

ولم يثبت أن لهذه المعارف العلمية وجود في التراث الدينى أو الكتب

(١) الإعجاز العلميّ فى السنة النبوية للدكتور / زغلول النجار جـ١ صـ١٧٨ – ١٨٨ ط نهضة مصر سنة ٢٠٠٤ رقم الإيداع ١١٠٤٥.

المنسوبة للسماء قبل الإسلام وبذلك فلا يبقي إلا أن يكـون هـذا الهـدى النبـوى والإشارات العلمية التى اشتملها هذا الحديث وحياً أوحى إليه من الله تعالى وذلك لا يحتاج إلى آلة أو جهاز أو جهودٍ مضنية للوقوف على هذه النتائج العظيمة.

وكفي بهذا دلالة على أن الهدى النبوى جاء عن طريق الـوحى وبالتـالى يكون ما صدر عن رسول ﷺ المتمثل فى القرآن الكريم والسنة النبوية الـصحيحة وحياً يجب اتباعه والانقياد إليه دون جدال أو نزاع فهذه الحقيقة لا يخالفها إلا مكابر ولا محيص من الرضوخ لها.

النموذج الخامس : قوله ﷺ لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجا

أخرج مسلم بسنده فقال:

عن أبي هريرة رضي الله عن أن رسول ﷺ قال:" لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجا وأنهاراً"[1].

أضواء حول معنى الحديث:

هذا الحديث يعد واحدا من أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة، التي تتناول جانبا من جوانب الغيب التي أخبره بها الوحى، فحص سلسلة طويلة من الإخباريات تتناول أشراط الساعة، وعنون لها علماء الحديث تحت كتاب (الفتن وأشراط الساعة) وهى تتناول في مجملها أخبارا عن غيب يكشف على مدي القرون اللاحقة، من بعثته ﷺ وكل جيل يري من تحقق هذه الأخبار ما يؤكد صدق الرسول ﷺ والرسالة معا ليكون بمثابة معجزات متجددة له ﷺ .

---

(١) مواطن الحديث:

أ) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ،

ب) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده.

يشهد كلّ جيل منها ما أذن الله تعالى بإظهاره لهم، غير أن الإخبار بالغيب تارة يكون إشارة إلى مجرد حدث كوفرة المال والرجال أو غيرهما، وتارة يكون عن مدي انحراف البشرية عن التوحيد كما في أحاديث الإشارة إلى عبادة الأصنام مرة أخرى في بلاد العرب كاليمن، وتارة يكون المخبر عنه يحمل معنى علميا لا يكشف لكل الناس وإنما يعرفه الخاصة منهم كما في هذا الحديث الذي لا يعرفه إلا المشتغلون بعلوم الأرض والكون.

فقد دلّ هذا الحديثُ على أن أرضَ العربِ ستعودُ أنهارًا ومروجًا وهى التي كانت في زمن بعثته ﷺ أرضاً قاحلة، ورمالاً وجبالاً ممتدة عبر المئات من الكيلو مترات، وإذا وجدت فيها بئر تعد كنز للقاطنين حولها!

فكيف تتحول إلى أنهار وبساتين؟ وكيف يشهد العلم الحديث بصحة ذلك؟

ولكي تتضح لنا عودة هذه الأرض القاحلة إلى مروج وأنهار، استأنس للإجابة على ذلك بهذا الحوار الذي أجراه الشيخ عبد المجيد الزنداني مع أحد الألمان الملحدين حول عودة أرض العرب مروجا وأنهارا.

يقول الشيخ الزنداني:

إن العالم البوفسيور: "الفريد كورروز"، وهو من أشهر علماء الجيولوجيا في العالم. حضر مؤتمراً جيولوجياً في كلية العلوم في جامعة الملك عبد العزيز..

فقلت له:"هل عندكم حقائق أن جزيرة العرب ــ أرض العرب ــ كانت بساتين وأنهاراً، هذه الصحراء التي ترونها كانت قبل ذلك بساتين وحدائق؟

فقال: نعم هذه مسألة معروفة عندنا .. وحقيقة من الحقائق العلمية الجيولوجيون يعرفونها.. لأنك إذا حفرت في أي منطقة تجد الآثار التي تدلك على

أن هذه الأرض كانت مروجاً وأنهارا، والأدلة كثيرة .. فقط لعلمكم منها قرية "الفاو" التي اكتشفت تحت رمال الربع الخالي .. وهناك أدلة كثيرة في هذا.

قلت له: وهل عندك دليل علي أن بلاد العرب ستعود مروجاً وأنهارا ؟..

قال: هذه مسألة حقيقية ثابتة نعرفها نحن الجيولوجيون ونقيسها ونحسبها، ونستطيع أن نقول بالتقريب متى يكون ذلك .. وهى مسألة ليست عنكم ببعيدة وهى قريبة.

قلت: لماذا؟ قال: لأننا درسنا تاريخ الأرض في الماضي فوجدنا أنها تمر بأحقاب متعددة من ضمن هذه الأحقاب المتعددة .. حقبة تسمي العصور الجليدية.

وما معنى العصر الجليدي؟

معناه: أن كمية من ماء البحر تتحول إلى ثلج تتجمع في القطب المتجمد الشمالي، ثم يزحف نحو الجنوب وعندما تزحف نحو الجنوب تغطي ما تحتها وتغير الطقس في الأرض، ومن ضمن تغيير الطقس تغيير يحدث في بلاد العرب، فيكون الطقس بارداً، وتكون بلاد العرب من أكثر بلاد العالم أمطارا وأنهار. وكنت أربط بين السيول والأمطار في منطقة "أبها" بالسعودية وبين تلك التي تحدث في شمال أوروبا..

قال الشيخ الزندانى: وأنا أتأمل فيما يقول، قلت له: تؤكد لنا هذا.

قال: نعم هذه حقيقة لا مفر منها!

قلت له: اسمع! من أخبر محمدا ﷺ بذلك .. هذا كله مذكور في حديث رواه مسلم يقول: ﷺ "لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً" من قال لمحمد ﷺ أن أرض العرب كانت مروجاً وأنهاراً؟

ففكر وقال: الرومان..

فقلت له: ومن أخبره بأن أرض العرب ستعود مروجاً وأنهاراً..

ففكر وفكر وقال: (فيه فوق!!) يعني الله[١].

وهنا قلت له: اكتب.. فكتب بخطه: (لقد أدهشتني الحقائق العلمية التي رأيتها في القرآن والسُنة، ولم نتمكن من التدليل عليها إلا في الآونة الأخيرة بالطريقة العلمية الحديثة وهذا يدل علي أن النبي محمدا ﷺ لم يصل إلى هذا العلم إلا بوحي علوي)[٢].

ولعل القارئ – بإذن الله تعالى – متعطش إلى معرفة شيئين.

الشيء الأول: المسح الجيولوجي لمنطقة جزيرة العرب وما يشابهها من الصحراء التي تقع على نفس الخط في مصر وغيرها الآن.

ما السبب وراء عودة الأرض القاحلة في جزيرة العرب وغيرها إلى أنهار وبساتين.

الشيء الثانى: ما الحكمة الإلهية في ذلك.

وأستأنس للإجابة على ذلك بما أعلنه مختبر المسح الأثري الأمريكي بولاية ريزون الأمريكية فقد جاء.

عنه "بينما كان الباحثون يحلّلون جداول معطيات جمعتها أجهزة الرادار المركبة علي متن مكوك الفضاء (كولومبيا) أظهرت صور الرادار وجود منطقة تحت رمال صحراء جنوب مصر وشمال غرب السودان لا تهطل فيها الأمطار إلا بمعدل مرة كل خمسين سنة، ولكنها تحتوى على مجاري أنهار قديمة كبيرة، بعضها

---

(١) من وضع الباحث.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة أبو سف الحاج أحمد، ص ٢١٦ ــ ٢١٧، م.

أوسع من نهر النيل نفسه، وقد أجريت حديثاً دراسة مشابهة لشبة الجزيرة العربية، حيث أظهرت الصورة الجوية وجود مجري لنهر قديم عملاق يخترق شبة الجزيرة من الغرب إلى الشرق ناحية الكويت.

وقد ذكر الدكتور/ فاروق الباز مدير وكالة ناسا للقضاء: وجود كميات هائلة من المياه الجوفية في مسار النهر القديم الذي لا بد أنه عاش علي جانبي النهر في العصور السحيقة عندما كان النهر يجري بالمياه قبل (٥٠٠٠) عام.

ويتوقع "هال مالكور" وهو جيولوجي أمريكي عودة البحيرات إلى صحراء الجزيرة العربية وعودة المياه إلى الأنهار المغطاة.

فالكرة الأرضية كما أثبتت التقنيات الحديثة تمر بعصر جليدي يظل نحو (مئة آلف عام) تأتي بعدة فتره دفء تسمي بمرحلة "بين جليدية" تستمر من (عشرة إلى عشرين آلف سنة) وقد تكرر هذا النمط عشر مرات خلال المليون سنة الماضية.

فقد كان انتشار المسطحات الجليدية في الأجزاء الشمالية – أثناء العصور الجليدية – يؤثر في مناخ الأرض، فيؤدي إلى زحزحة نطاق المطر إلى الجنوب، فتدخل شبه الجزيرة العربية والصحراء الكبرى بشمال إفريقيا في نطاق الرياح العربية الممطرة التي تهب الآن على غرب أوروبا، فيؤدي ذلك إلى ازدهار تلك الصحاري وامتلائها بالأنهار والوديان الخصبة.

وفي فترات الدفء بين العصور الجليدية تتحرك نطق الأمطار إلى الشمال، فتصبح شبه الجيزة العربية وشمال إفريقيا ضمن نطاق الرياح التجارية ويسودها مناخ مشابه لمناخها اليوم[١].

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص ٢١٧ – ٢١٨، مرجع سابق.

أقول: وفي النقلين السابقين أي ما تم في الحوار مع الجيولوجي الألماني الملحد، وما أعلنه مختبر المسح الأثري الأمريكي، ما يكفي في بيان المسح الجيولوجي لجزيرة العرب وغيرها مما يقع على نفس خطها، وفي بيان عودة الأنهار إلى جزيرة العرب مرة أخري، نظرا لبقايا الأنهار القديمة، التي كشفت عنها مركبات الفضاء وفيها المركبة "كولومبيا" سالفة الذكر.

أما عن الحكمة الإلهية في عودة هذه الأرض مروجاً أو أنهارا فإني أراه من العدل الإلهي حتى بين الأخضر واليابس!

فالله عزّ وجلّ أقام الكون كلّه علي قانون التوازن بين الأشياء مقروناً بالعدل الإلهي في التقسيم والتوزيع والخصائص والأنواع والمعطيات حتى بين الأخضر واليابس من الأرض!

فالتوازن خاصية مهمة يقوم عليها النظام الكوني، والعدل الإلهي لا يفرق بين أرض وأرض ولو بعد أحقاب من العصور الجليدية التي يأخذ كل جزء من الأرض حظا منها تارة في الجنوب وتارة في الشمال وغيرهما علي مدار عمر الأرض كما أنّ العدلَ الإلهيّ لا يفرقُ بين بني البشر إلا بالإيمان بالله وتقواه.

فيا لها من عظةٍ وعبرةٍ، أولي بالبشر أن يجعلوا العدل بينهم راية تخفق في كل مكان من أرض الله، سواء كانوا حكامًا أو محكومين!

وساعتها سيتحقق الانسجام بين الفطر والطباع التي فطر الله الناس عليها والسلوك العام للإنسان وساعتها سيعرف الناس معنى الدين الحق وحينئذ ستتحقق السعادة لبني الإنسان!

نعم، سيكون الإسلام سلوكا وصدقا ويقينا في القلوب بجانب كونه أقوالاً تشبع الأذهان وتقنع العقول.

المبحث الثاني

ثمار عملية لمن دخل الإسلام بسبب الإعجاز العلميّ فى القرآن والسنّةِ

تمهيد :

إن ممّا لا شك فيه .. أن الهدي الإسلامي يبهر دائمًا العقل والقلب معاً، ساعة أن يعيش صاحبهما لحظة صدق مع فطرته النقية، ويتجرد من التعصب والهوى مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾[1].

فهذا الهدي المنطلق من الكتاب والسنة الصحيحة، فيه ما يقنع العقل ويمتع القلب، بل فيه ما يشد العقل تارة والقلب تارة أخرى أو كليهما معًا؛ نظرًا لاختلاف الناس في درجات تفكير العقول وعواطف القلوب، فمن الناس من تشده دفعة عقلية فى قوة الدليل، أو لمسة عاطفية في أحد المواقف.

ولقد كان للإشارات العلمية في القرآن والسنة، والتي تبرهن بصدق على أن هذا الهدي جاء لرسول ﷺ عن طريق الوحى الإلهي، أثرُ عظيم في هداية من شاء الله لهم الهدى والخير في الدخول في ساحة الدين الإسلامي متوجين رؤوسهم بتاج الإيمان برسالته الغراء الباقية بقاء الليل والنهار.

وهؤلاء الذين دخلوا فى الإسلام بسبب الإعجاز العلمي، ما دفعهم إلي هذا الدخول دافع من مال أو شهرة، لأنهم ليسوا بحاجة إلي المال أو الشهرة ، حيث بلغت شهرتهم العالمية الآفاق، وامتلكوا الكثير من الأموال .. هذا فضلاً عن أن عقولهم لم يكن بها خلل، ولم يكرههم على الإسلام أحد، بل كانوا طلقاء أحرار في ربوع المعمورة.

ولكن الذي أثر فيهم عقديا مع أنهم من خواص الخواص في مجال العلم

---

(١) الروم الآية (٣٠) .

التجريبي؛ ما لمسوه من صدق الإشارات التي تحملها بعض آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ ، والتي سبقت العلم التقني المعاصر، مما يثبت صدق النبوة لرسول الله ﷺ وصحة نزول الوحي عليه ﷺ.

وفي مقابلات للشيخ (أحمد عبد المجيد الزنداني) أجريت مع أربعة عشر عالمًا من رواد العلوم التجريبية الحديثة، وقد جمعها فى كتاب (إنه الحق) يقول: {وهؤلاء العلماء الذين أجريت معهم تلك المقابلات غير مسلمين، ولكنهم كانوا يقررون حقائق علمية، توصلوا إليها بعد البحث والدراسة، ولدي إخبارهم بأن ما توصلوا إليه قد أشار إليه القرآن الكريم أما تصريحًا أو تلميحًا منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، فقد كانوا يصابون بالدهشة والاستغراب، وتختلف تعبيراتهم فى ذلك، إلا أنهم يكادون يجمعون على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من البشر، بل إن منهم من أعلن صراحة بأن محمدًا ﷺ رسول الله، ومنهم من شهد شهادة الحق، فنطق بالشهادتين، وأقر لله عز وجل بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، وإذا كان هؤلاء هم من قادة العلوم يقولون هذا، فهم يقيمون الحجة بذلك على من هم في منزلتهم العلمية، فضلاً عمن دونهم من أبناء قومهم.

إنهم يفتحون لهم الأبواب الموصدة، ويمهدون لهم الطريق إلي الإيمان بالله رب العالمين، وبذلك تسقط أباطيل المعرضين عن الإيمان، بعد قيام الحجة ووضوح المحجّة، وسطوع العلماء على ذلك، ومن قول الله تعالي فى أمثال هؤلاء المعرضين:

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾[1].

---

(١) سورة الشورى الآية (١٦) .

انظر: الحق ص٧ الطبعة الثالثة، إصدار هيئة الإعجاز العلمي فى القرآن والسنة بمكة المكرمة.

نماذج لمن أسلم بسبب الإعجاز العلميّ

إن الذين أسلموا بفضل الله تعالي، ثم بسبب الإعجاز العلمي من الرجال والنساء، كثيرون وفي مجالات مختلفة، من حيث تخصصاتهم.

ولعل المقام يسمح لى بذكر نماذج لهم على سبيل التمثيل لا الحصر وأبدأ بذكر نماذج من الرجال، وذلك على نحو ما يلي:

النموذج الأول:

البروفيسور (كيث إل مور):

هو أحد مشاهير العلماء المعاصرين في مجال علم التشريح والأجنة عالميًا. له مؤلفات عديدة فى هذا المجال، وقد بلغت من أهميتها أن ترجمت إلي ثماني لغات.

يعرفنا به الدكتور عبد الله بن عمر نصيف الأمين العام الأسبق لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، من خلال تقديمه في إحدى المحاضرات، وذلك حيث يقول :

(محاضرنا اليوم هو الأستاذ كيث إل مور أستاذ علم التشريح والأجنة فى جامعة تورنتو بكندا، وقد تدرج فيها حتي وصل إلي هذه المرتبة فى جامعات عديدة، منها جامعة توينابك في الغرب الكندي، حيث كان هناك لمدة إحدى عشرة سنة، ورأس العديد من الجمعيات الدولية منها على سبيل المثال.

- جمعية علماء التشريح والأجنة فى كندا وأمريكا.
- مجلس اتحاد العلوم الحيوية الأخرى.
- كما أُنتُخِبَ عضوًا بالجمعية الطبية الملكية بكندا، والأكاديمية الدولية لعلوم الخلايا، والاتحاد الأمريكي لأطباء التشريح، وعضوٌ في اتحاد الأمريكيين فى التشريح أيضًا.

وقد ألّف العديد من الكتب، بعضها فى مجال التشريح السريرى وعلم الأجنة، وله ثمانية كتب تعتبر مرجعًا لطلاب كليات الطب، وقد ترجمت إلي ست لغات: الإيطالية والألمانية والبرتغالية والأسبانية واليونانية والصينية)[1] .

موقف (كيث إل مور) من الإعجاز العلمي فى القرآن والسنة:

دعي البروفيسور (كيثُ إل مور) من قبل هيئة الإعجاز العلمي؛ ليكون مستشارًا علميًا يستأنس برأيه ـ كباحث تجريبي عالمى ـ في الإشارات القرآنية والنبوية، التي تحمل طابع الإعجاز العلمي، وذلك فى المؤتمرات التي تعقدها هيئة الإعجاز العلمي بهذا الخصوص.

فماذا كان رد الفعل عندما عرض عليه الهدي القرآني والنبوي فى هذا المجال؟

يقول الدكتور (مور): لقد أسعدني جدًا أن أشارك فى توضيح هذه الآيات والأحاديث، التي تتحدث عن الخلق فى القرآن الكريم والحديث الشريف، ويتضح لي أن هذه الأدلة حتمًا جاءت لمحمد ﷺ من عند الله لأن كل هذه المعلومات لم تكتشف إلا حديثًا، وبعد قرون عدة، وهذا أثبت لى أن محمدًا رسول الله ﷺ[2] .

هذا.. وقد ازدادت دهشة د/ مور عندما عرضت عليه الآيات والأحاديث المتعلقة بخلق الإنسان فقال:

كيف يكون لمحمد ﷺ قبل ١٤٠٠ عام، أن يصف الجنين وأطواره هذا الوصف الدقيق الذي لم يتمكن العلماءُ من معرفته إلا منذ ثلاثين عام وسرعان ما تحولت دهشته إلي إعجاب بهذا البيان وهذا الهدي، فتبني هذه الآراء فى المجامع العلميّة، وقدم محاضرة بعنوان (مطابقة علم الأجنّة لما في القرآنِ والسنةِ).

---

(١) نقلا من كتاب إنه الحق صـ١١.

(٢) إنه الحق ص ١١-١٢.

ولم يكتف الدكتور"مور" بما قاله في المحاضرات، بل أضاف عند طبعه كتاب (أطوار خلق الإنسان)، الطبعة الثالثة - هو كتاب علمي طبع بثماني لغات - هذه العبارات التي قال فيها: "كان تقدم العلوم فى العصور الوسطي بطيئًا، ولم نعلم عن علم الأجنة إلا الشيء القليل، وفي القرآن الكريم الكتاب المقدس لدي المسلمين، وَرَدَ أنَّ الإنسانَ يخلق من مزيج من الإفرازات من الذكر والأنثى، وقد وردت عدةُ إشارات بأن الإنسان يخلق من نطفة من المني، وبيَّن أيضًا أن النطفة الناتجة تستقر فى المرأة كبذرة بعد ستة أيام..."

ويقول القرآن الكريمُ أيضًا: "إن النطفة (المني) تتطور لتصبح قطعة من دم جامد (علقة)، وأن البيضة الملقحة، التي بدأت فى الانقسام تلقائيًا، يمكن أن تشبه العلقة، ويمكن رؤية مظهر الجنين فى تلك المرحلة أنه يشبه العلقة، بينما كانت العبارة فى الطبعتين السابقتين مقصورة على قوله:

"كان تقدم العلوم فى العصور الوسطي بطيئاً، ولم نعلم عن علم الأجنة إلا الشيء القليل[١] .

لكنه امتلك الشجاعة فأضاف الفقرة السابقة بعد وقوفه على هدي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في شأن أطوار خلق الإنسان.

<u>الدكتور (مور) يدعو إلي استخدام المصطلحات القرآنية في دراسة أطوار خلق الإنسان:</u>

كان المتعارف عليه طبيًا، أن المراحل التي يمر بها خلق الإنسان، يرمز إليها بمصطلحات رقمية، فيرمز للمرحلة الأولي برقم (١)، والمرحلة الثانية برقم (٢) وهكذا، لكن التقسيم القرآني لهذه المراحل استخدم الأشكال المتميزة التي تدل

---

(١) إنه الحق ص ١٨.

عليها كل مرحلة لهذه الأطوار.. مرحلة النطفة ثم العلقة، ثم المضغة، ثم العظام ثم كساء العظام لحماً.... ثم إنشاؤه خلقًا آخر.

الأمر الذى دفع الدكتور (كيث إل مور) إلى تبنـــى اســتخدام التقــسيمات القرآنية لأطوار خلق الإنسان وهي تقسيمات علمية دقيقة، وتقسيمات سهلة ومفهومة ونافعة، ولذلك حين وقف فى أحد المؤتمرات أعلن هذا فقال:

يحمي الجنين فى رحم الأم ثلاثة أحجبه أو طبقات هي:

أ- الجدار البطني. ب - الجدار الرحمي. جـ- الأغشية المشيمية.

لأن مراحل تطور الجنين البشري معقدة؛ وذلك بسبب التغيرات المــستمرة التي تطرأ عليه، أما الآن فإنه يصبح بالإمكان تبني نظامًا جديدًا فــي التــصنيف، يتمثل في استخدام الاصطلاحات والمفاهيم التي ورد ذكرها فــي القــرآن والــسنة المطهرة، ويتميز النظام الجديد بالبساطة والدقة، إضافة إلي انسجامه مع علم الأجنة الحالي[1] .

الجهر بحقائق القرآن العلمية:

لم يكتف الدكتور (كيث إل مور) باقتناعه بسبق القرآن والسنة فــي مجــال علم التشريح والأجنة، بما وصل إليه العلماء فى القرن العشرين، بل عقــد بعــض الحلقات التليفزيونية وأعلن التصريحات الصحفية تجاه هــذا الاقتنـــاع الشخــصي المذكور.

فقد نشرت له بعض الصحف الكندية كثيرًا من تصريحاته فقالت: وأخيــرًا قدم (كيث مور) ثلاث حلقات في التليفزيون الكندي، عن التوافق بــين مـــا ذكــره القرآن الكريم قبل ١٤٠٠عام وما كشف عنه العلم فى هذا الزمان.

---

(١) إنه الحق ص٢١.

وعلى إثر ذلك وُجِّهَ له هذا السؤال:

يا أستاذ (مور)، معنى ذلك أنك تؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله؟

فأجاب لم أجد صعوبة فى قبول هذا.

فقيل له: كيف تؤمن بمحمد وأنت تؤمن بالمسيح؟

فأجاب أعتقد أنهما من مدرسة واحدة.[1] .

أقول: وهكذا الحق عندما يتغلغل هديه في العقل وتسطع أنواره على القلب فإن صاحبهما لا يملك إلا الجهر به، دون اعتبار لردّ الفعل المترتب عليه، فمن وجد الحق لم يفته شئ، ومن فَقَدَهُ فقدْ فَقَدَ كل شئ ولو تربع على عرش الملك الأرضي بأجمعه.

النموذج الثاني:

الدكتور (ثاجاتات تاجسون) رئيس قسم التشريح والأجنة وعميد كلية الطب في جامعة شاينج ماى، بتايلاند.

ومن أقصى الغرب في كندا إلي أقصى الشرق في تايلاند، نلتقي مع الدكتور (ثاجاتات تاجسون) الذي أسلم عام ١٤٠٤هـ وعن قصة إسلامه، وأثر الإشارات العلمية فى القرآن والسنة على قلبه وعقله، أستأنس أيضًا بما كتبه الشيخ عبد المجيد الزنداني حيث يقول:

"بدأت صلتنا بالبروفيسور (ثاجاتات تاجسون)، عندما عرضنا عليه بعض الآيات والأحاديث النبوية المتعلقة بمجال تخصصه في مجال علم التشريح، وعندما أجاب عليها قال لنا: ونحن كذلك توجد لدينا فى كتبنا المقدسة البوذية".

أوصاف دقيقة لأطوار الجنين فقلنا له: نحن بشوق لكي نعرف هذه

---

(١) إنه الحق ص١٦.

الأوصاف، ونريد أن نطلع على ما كتب في هذه الكتب.

وعندما جاء إلي مدينة جدهَ ممتحنًا خارجيًا لطلاب الطب في جامعة الملك عبد العزيز بعد عام، سألناه عن طلبنا السابق، فاعتذر لنا وقال: كنت قد أجبتكم دون أن أتثبت لهذا الأمر .

عندئذ قدمنا له محاضرة مكتوبة للدكتور (كيث مور) وكان عنوان المحاضرة (مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة).

وسألناه عن الأستاذ (كيث مور) هل تعرفه؟ قال: إنه رجل من كبار علماء العالم المشهورين فى هذا المجال، وبعد أن اطلع على هذه المحاضرة اندهش أيضًا، وسألناه، عددًا من الأسئلة في مجال تخصصه، كان منها ما يتعلق بالجلد، ومنها السؤال الآتي:

هل يؤثر حرق الجلد بالنار على فقدان الإحساس بالألم؟

فأجاب الدكتور (ثاجاتات تاجسون): نعم إذا كان الحرق عميقًا، ودمر عضو الإحساس بالألم.

المترجم المناقش: يهمك أن تعرف أنه في هذا الكتاب المقدس (القرآن الكريم) إشارة منذ آلف وأربعمائة سنة إلي عقاب الكافرين بعذاب النار في جهنم، وأنه عندما ينضج الجلد، يخلق الله لهم جلودًا أخرى حتى يذوقوا العقاب بالنار، مما يشير إلي حقيقة أطراف الأعصاب في الجلد، ونص الآية هو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [1] .

هل توافق على أن هذه إشارة إلي أهمية أطراف الأعصاب فى الجلد

(١) النساء الآية (٥٦).

بالنسبة إلي الإحساس منذ ١٤٠٠سنة؟

فأجاب الدكتور (ثاجاتات): نعم أوافق على أن هذه معروفة عن الإحساس، عرفت منذ زمن طويل قبل ذلك.

وهكذا ذكرنا له عددًا من الآيات والأحاديث وسألناه بعد ذلك، **هل يمكن أن تكون هذه الآيات قد جاءت إلي محمد ﷺ من مصدر بشري ؟**

فأجاب، لا يمكن أن يكون ذلك، قلنا له: فمن أين جاءت؟

قال لا يمكن أن تكون من مصدر بشري ولكن أسألكم أنتم، من أين تلقي محمد ﷺ هذه العلوم؟

فقلنا له: من عند الله سبحانه وتعالي، فقال ومن هو الله ؟

قلنا له: إنه الخالق لهذا الوجود، إذا رأيت الحكمة فالحكمة تدل على الحكيم، وإذا رأيت العلم في هذا الوجود، دلّك على أنه من صنع العليم، وإذا رأيت الخبرة في تكوين هذه المخلوقات، دلّتك على أنها من صنع الخبير، وإذا رأيت الرحمة شهدت لك على أنها من صنع الرحيم، وهكذا .

إذا رأيت النظام الواحد في هذا الوجود، والترابط المحكم دلّك على أنه من صنع الخالق الواحد سبحانه وتعالي فوافق على ما قلناه، ثم عاد إلي بلاده وألقي عددا من المحاضرات عن هذه الظاهرة التي رآها واطلع عليها، وبلغنا أنه أسلم بعد محاضراته خمسة من طلابه،

ثم جاء موعد المؤتمر الطبي السعودي الثامن(١) . واستمع في الصالة الكبرى التي خصصت للإعجاز الطبي فى القرآن والسنة طوال أربعة أيام لعدد من الأستاذة المسلمين وغير المسلمين، يتحدثون عن الإعجاز العلمي فى القرآن والسنة.

---

(١) فى سنة ١٤٠٤هـ.

وفي ختام هذه الجلسات وقف البروفيسور (ثاجاتات تاجسون) يقول هذه الكلمات:

"في السنوات الثلاث الأخيرة أصبحت مهتما بترجمة معانى القرآن الكريم، الذي أعطاه لي الشيخ (عبد المجيد الزنداني) فى اللّقاء السابق، ومحاضرات البروفيسور (كيث مور) التي طلب منّي الشيخ (الزنداني) أنْ أترجمها إلي اللغة التايلاندية، وأن ألقي فيها بعض المحاضرات للمسلمين في تايلاند، فأجبته إلي طلبه، ويمكنكم أن تروا هذا فى الشريط الذي أعطيته، وأنني أؤمن أن كل شئ ذكر في القرآن منذ ١٤٠٠ سنة لابد أن يكون صحيحًا، ويمكن إثباته بالوسائل العلمية، وحيث أن النبي ﷺ لم يكن يستطيع القراءة والكتابة فلا بد أن محمدًا ﷺ رسول جاء بهذه الحقيقة، لقد بعث إليه هذا عن طريق الوحي من خالق عليم بكل شئ.. هذا الخالق لابد أن يكون هو الله، ولذا فإنني أعتقد أنه حان الوقت لأن أشهد أن لا إله ألا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ أخيرًا يجب أن أشكركم على جهودكم لإعداد هذا النقاش الذي كان على درجة عالية من النجاح.

إن الفقرات التي أُعِدت (لهذا المؤتمر) بمثل هذا الحجم، لابد وأنها كانت صعبة جدًا، حيث اهتمت كثيرًا ليس بالجانب العلمي فقط، ولكن بالأمنية العظيمة التي تحققت لي فى زيارة العلماء، وتكوين صداقات جديدة.

إن أثمن شئ اكتسبته باعتناق هذه العقيدة هو (أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأَنَّ محمداً رسولُ الله) فأصبحتُ مسلمًا[1] .

أقول وهكذا الإسلام كالمعدن النفيس، إذا ذهب الغبار عنه، وخرجت الشوائب منه، بدا بريقه يأخذ بالقلوب والأبصار، فكل ما في الإسلام كنوز دفينة،

(١) نقلاً من كتاب إنه الحق صـ٢٤-٢٩ باختصار وتصرف.

تشد العقل دائمًا فتقنعه، والقلب فتمتعه، لكن الإسلام يحتاج دائمًا إلي التوظيف الحسن والعرض الجيد، والدعاة المتمكنون، الذين يدعون إلي الله تعالي على بصيرة وبينة، هم الذين يحسنون توظيف وعرض تعاليم الإسلام، وذلك بما أوتوا من قوة إيمان وعمق معرفة وفصاحة لسان ونصاعة حجة وبيان مع حسن صلة بالله عز وجل بالليل والنهار.

النموذج الثالث : (جاك كوستو) الفرنسى:

إن الحديث ـ ما يزال مستمراً ـ عن هؤلاء العلماء الأعلام ، الذين ظهرت لهم أنوار حقيقة الإسلام ، وزالت عن قلوبهم غشاوات الهوى والتعّصب الأعمى ، فآثروا الحقيقة على ما سواها، والآن أتحدث عن "جاك كوستو" أكبر علماء فرنسا فى علوم البحار لنعرف كيف أسلم ، وملأ الحق جوانب قلبه وعقله؟ !

لقد أضاءت لهذا العالم الجليل آية واحدة من كتاب الله عز وجل يقرؤها المسلمون وهم يسلمون بحقيقتها؛ لأنها صادرة عن الله تعالى، الذى أوحى إلى رسوله محمد ﷺ.

وقد جاء العلمُ الحديثُ ليضعَ التفاصيلَ كاشفًا عن مدلولها بطريق علمى قائم على التجارب والأبحاث ، وهذه الآية هى قول الله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾[١].

ولنستمع إلى (جاك كوستو) وهو يتحدث عن هذا، فيقول: "عندما كنا ندرس الظاهرة التى اكتشفها العلماء ، وهى أنّ هناك حاجزًا يفصلُ بين الكتل البحريّة المختلفة، وتظل كما هى بخصائصها وأجيالها المائية ، دون أن يختلط بعضها ببعض".

---

(١) سورة الرحمن : الآية ١٩ ، ٢٠ .

والمعروف أنه بخاصية الانتشار ، كان على المواد الأكثر تركيزًا أن تنتشر إلى الوسط الأقل تركيزًا ، فتكون جميعها متساوية فى تركيبها وكثافتها ودرجة ملوحتها ، ويصبح الماء كله متجانسًا، ولكن هذا لم يحدث، وقد وجدوا هذا الحاجز بين كل بحر وبحر، ونهر وبحر، ونهر وآخر ، وهذا شئ محير فعلاً.

وعندما قيل له إن هذا ليس بجديد، فهذا الحاجز مذكور فى القرآن منذ أربعة عشر ١٤ قرنا ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾[١]. قال: أشهد أن هذا القرآن من عند الله ثم أشهر إسلامه[٢].

سبحانك ربّى جعلتَ كلَّ شيءٍ فى الكون آيةً، تدلُّ على وجودك ووحدانيتك، وجعلتَ آيةً واحدةً فى قرآنك تهدى عالِمًا من أشهر علماء البحار فى فرنسا ، ذلك لأنه أيقن أن هذا الهدى لا يصدر عن علم مكتسب ، خاصة فى زمن الجاهليّة، وفى بيئة العرب الأميّة حينها وعلى يد الرسول الخاتم الأمى ﷺ ، وهو الذى لم يركب البحر يومًا واحدًا، لكنه الوحى الإلهى ممن يعلم خفايا خلقه فى قاع البحار والمحيطات ، كما يعلم عدد ما تحمل من ذرات وموجات، والمقدر لاختلاف درجة الكثافة لكافة أنواع المياه فى الحركات والسكنات .

النموذج الرابع :

عالم الفلك اليابانى (بروسو يوشادى كروزاى) مدير مرصد طوكيو:

إن ممّا لا شك فيه ولا جدال حوله .. أن النفس البشرية تهفو إلى النور، وتتطلع إليه أينما وجدته، والإسلام نور القلوب والأرواح ، فهو فطرة الله التى خلق

---

(١) سورة الرحمن : الآية ١٦ ، ٢٠ .

(٢) نقلا عن الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها فى القرآن الكريم ، تأليف الدكتور سليمان عمر قوش ،ص ١٧٥ ، ط٢ ، دار الثقافة ـــ الدوحة ، سنة ١٤١٥هـــ ـ ١٩٩٥م .

الناس عليها ، فإذا زال غبار الهوى والتعصب؛ ظهرت أنوار الإسلام وحقيقته، تجذب النفوس إليها كما تجذب الأزهار جماعات النحل، في مشرق الأرض أو مغربها على حد سواء! ومن أمريكا فى أقصى الغرب من أرض المعمورة ، إلى اليابان حيث نقف على قضية إسلام عالمها الفلكى ومدير مرصد عاصمتها العالم الفلكى (بروسو بوشاى كروزاى) وأستأنس لقصة إسلامه بما جاء فى كتاب "موسوعة الإعجاز العلميّ فى القرآن والسنة".

يقول المؤلف : "تجدر الإشارة إلى إسلام أحد مشاهير العلماء المتخصصين فى علم الفلك وهو (برسو يوشادى كروزاى) وهو مدير مرصد طوكيو الفلكى فى اليابان ، والذى يعتبر بحداثته وأجهزته ثانى مرصد فى العالم .. وقد شاء اللهُ أنْ يزورَ هذا الرجلُ السعوديةَ ، وهناك تمت معه مناظرةٌ علميةٌ كبيرةٌ فى جامعة الملك عبد العزيز ، حضرها حشد كبير من العلماء المتخصصين فى علوم الفلك والجيولوجيا، وإلى جانبهم بعض علماء المسلمين، مثل الشيخِ (عبد المجيد الزندانى) وبعد أن طرحت عليه مفاهيم القرآن العلمية فى علم الفلك والحقائق الكونية .. وبعد أن تفهمها بعمق وعلم كبير ، وبعد أن شرح الله صدره للإيمان لم يتردد فى أن يعلن وثيقته التاريخية، إقرار وبخط يده وهذه ترجمتها الحرفية:

"بعد أن قدمت إلى هنا ، وجدت أن فى القرآن حقائق علمية كثيرة ، والكون وما يحويه من كل شيء مشروع ومفسر فى القرآن من أعلى نقطه فى هذا الوجود.. حتى أنَّ كلَّ شيءٍ فيه أصبح مفهومًا .. وإنى أعلن إسلامى"[1].

---

(١) موسوعة الإعجاز العلميّ فى القرآن الكريم والسنة المطهرة : تأليف يوسف الحاج أحمد ، ص ٣٢٥ ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٢٤هـ - سنة ٢٠٠٣م ، مكتبة دار ابن حجر بدمشق - سوريا.

وهكذا حقيقة الإسلام ، تنشرح لها الصدور ، ساعة أن تقف النفس عليها دون غيوم أو سحب. ومتى تظهر حقيقة الإسلام لكل الناس ، كالشمس ليس دونها سحاب؟ ..... هذا دور العلماء!

..... دور الإعلام الإسلامى فى توسعة المساحة المخصصة لعرض الإسلام !

..... دور الحكومات الإسلامية فى التوسع في تهيئة الأجواء لإشراقة شمس الإسلام على العالم كله فى وقت طغت فيه المفاهيم المادية على الكثيرين ، وأصبح الخواء الروحى ظاهرة ملموسة ، لدى الملايين من البشر ، الذين يتطلعون دومًا إلى معرفة منابع الإيمان ، وغاية وجودهم فى الحياة، وحقيقة الكون وما فيه من أسرار إلهية ، تحمل البراهين على وجود الله ووحدانيته وصدق الله العظيم إذ قال عن نفسه :

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[1].

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[2].

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾[3].

وليس المطلوبُ قهرَ النّاسِ على الدخولِ فى الإسلامِ، فذلك يخالف منهجه

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١٠١-١٠٣.

(٢) سورة الشورى الآية : ١١.

(٣) سورة الإخلاص كلها.

بل أن يعرف الناس حقيقة الإسلام، وبعدها كما قال ربنا تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1] .

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[2].

فالعرض مطلوب والإجبار مرفوض شرعًا وهذا قمة العدل الإلهى فى نظر الإسلام.

* * *

(١) سورة الكهف الآية : ٢٩.

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٥٦.

نموذجان من النساء اللآتي أسلمن

النموذج الأول:

(أ) طبيبة فرنسية:

لم يقتصر اعتناق الإسلام بسبب الإعجاز العلميّ فى القرآن والسنة ــ بعد توفيق الله تعالى ــ على الرجال ، بل تعداه إلى النساء ، فالدينُ فطرةٌ لكل من الرجل والمرأة.

ومتى اتضحت الحقيقة لا يلبث المرء أن يسارع إليها فيعتنقها رجلاً كان أو امرأة.

ويحضرنى هنا موقف طبيبة فرنسية (لم أقف على اسمها) متخصصة فى أمراض النساء، أجرت أبحاثاً مضنية حول الأضرار التى تلحق الرجل والمرأة عند جماعها وهى حائض، وبعد دراسات استمرت عدة سنوات ، ووصولها إلى خطر جماع المرأة وهى حائض، قيل لها: إن فى القرآن الكريم نهيًا عن ذلك[1] منذ قرون، الأمر الذى أثار دهشة الطبيبة الفرنسية، وجعلها تعكف على دراسة الإسلام لعدة سنوات، أعلنت بعدها إسلامها.

ذكر العميد الصيدلى : (عمر بن محمود بن عبد الله) فى كتابه الطب الوقائى فى الإسلام، وهو يتحدث عن منع الإسلام جماع الرجل زوجته وهى حائض، فقال :

"وقد أسلمت طبيبة فرنسية متخصصة بجراحة الأمراض النسائية ، عندما أعدت دراسة عن الاتصال بالمرأة أثناء الحيض ، وما يترتب على ذلك من أخطار،

---

(١) وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ﴾ البقرة الآية : ٢٢٢.

ولمّا علمتْ أنّ فى القرآن نهيا عن ذلك ، عملت على دراسة الإسلام.

وأسلمت قائلة:

"لا يُقدِّر خطورة هذه الممارسة رجل لم يدرس الطب والتشريح قبل ألف وأربعمائة عام ، ما لم يكن وحى من الله سبحانه، وأنه لرسولٌ حقًا"[1].

وهكذا تسطع أنوار الإسلام على القلب والعقل، عندما يوقد مصباح حقيقته الغراء ، فليت دعاة الإسلام يوقدون مصابيحه على الدوام ، ببصيرة واستيعاب لمنهجه ، وروح وضاءة فى عرضه، وسند حسن قوى من الحكومات الإسلامية لتهيئة أجواء ذلك.

النموذج الثانى:

(ب) الصحفية الأمريكية : (ديبورا بوتر)[2]:

ومن فرنسا حيث التقينا مع طبيبة النساء التى أسلمت بسبب سبق القرآن الكريم فى النهى عن إتيان المرأة وهى حائض أبحاثها العلمية التى عكفت عليها عدة سنوات، أسارع، فأولى وجهى شطر أمريكا حيث توجد الصحفية "ديبورا بوتر"

---

(١) الطب الوقائى فى الإسلام ، ص ١٠٣ ، ط الأولى سنة ١٤١١هـ- ١٩٩٠م ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، الدوحة.

(٢) ولدت عام ١٩٥٤ بمدينة ترافيرز فى ولاية (متشيغان) الأمريكية ، وتخرجت فى فرع الصحافة بجامعة متشيغان ، اعتنقت الإسلام عام ١٩٨٠م بعد زواجها من أحد الدعاة الإسلاميين العاملين فى أمريكا، بعد اقتناع عميق بأنه ليس ثمة من دين غير الإسلام يمكن أن يستجيب لمطالب الإنسان ذكرًا أو أنثى)

راجع : قالوا عن الإسلام للدكتور عماد الدين خليل ص ٥٥ ط ١٤١٢هـ ٩٩٢، الندوة العالمية للشباب الرياضى- والاقتباس من جهود المنصفين من المستشرقين ص ٣٣ للباحث- مصطفى احمد مرتضى عبد العظيم، رسالة ماجستير- كلية أصول الدين بالقاهرة سنة ٢٠٠٣م،.

التى اقتنعت اقتناعًا تامًا بأن ليس إلاّ الإسلامُ يصلحُ للبشريةِ قاطبةً، ومما أثر في إسلامها وقوفها على الجانب الكونى فى القرآن ، وكيف أثبت البحث العلميّ المعاصر صحة ما جاء فى القرآن الكريم الكتاب الإلهى الذى تنزه عن التحريف وهو محفوظ بحفظ الله إياه؟!

ومن كلماتها :

"كيف استطاع محمد ﷺ - الرجل الذى نشأ فى بيئة جاهلية - أن يعرف معجزات الكون التى وصفها القرآن الكريم والتى لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها ؟ لابد إذن أن يكون الكلام هو كلام الله عز وجل"(١).

والتتبع لمثل هذه النماذج شائق وجذّاب، لكنى أخشى من الإطالة التي تخرجنا عن موضوع الاستدلال، فأكتفى بما سبق ذكره من هذه النماذج، فمصباح واحد يكفى لإضاءة الطريق.

إسلام جماعى بسبب الإعجاز العلميّ بعد توفيق الله تعالى

لم يقتصر الدخول فى الإسلام على الأفراد الذين ذكرت نماذج لبعضهم ، بل تعداه إلى إسلام جماعى لآلاف من الناس، ومن أمريكا أنقل هذا الحديث:

يقول الأستاذ / صالح محمد بن حليس اليافعى:

"لقد أسلم أكثر من خمسة آلاف أمريكى ، بعد سماعهم لمحاضرة عن الإعجاز العلميّ فى القرآن الكريم والسنة وحقيقة الإيمان ، وملخص القصة: أنّ أحد مساعدى زعيم مسلم فى أمريكا، جاء إلى هيئة الإعجاز العلميّ للقرآن والسُنة للالتقاء بعلماء ، يحدثونه عن قضايا الإيمان ، وعن الإعجاز العلميّ المعاصر فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فسر سرورًا عظيمًا وكتب كل ما قاله العلماء له

(١) جهود المنصفين من المستشرقين، ص٣٣، مرجع سابق.

...،وبعد حوالى شهر ونصف نشرت الصحف خبرًا فى أمريكا عن نتيجة طيبة لذلك العمل ، حيث عقد ذلك المسلم الأمريكى اجتماعًا هناك، حضره حوالى ستة عشر ألف شخص (١٦ ألف) ، ونقل إليهم ما كتبته الهيئة العالمية للإعجاز العلميّ للقرآن والسنة.

ووزع عليهم بطاقات لمن يقتنع ويرغب فى دخول الإسلام ، حتى يمكن الاتصال به وتلقينه الشهادتين ، وتعليمه الإسلام، وكانت النتيجة أن أعلن خمسة آلاف شخص أمريكى عن رغبتهم فى الدخول فى الإسلام تأثراً بمحاضرة واحدة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾[1].

أقول: وهكذا تبدو صلة الإعجاز العلميّ فى القرآن والسنة بمنهج الدعوة ، وتظهر هذه الصلة بأنها من أقوى الصلات فى عصر لا يقنع الكثير من أهله إلا لغة العلم التكنولوجى، فالإعجاز العلميّ من أقوى الحجج فى عرض حقائق الإسلام، والأخذ بيد العقول المتخصّصة لدراسة هذه الحقائق التى لا يفتأ من يقف عليها – مجرداً عن الهوى والتعصب – إلا أن يستسلم لصدقها، ويعتقد فى صحة مصدرها، ويؤمن بالإسلام كخاتم للأديان السماوية عن قناعة كاملة ورضا تام.

وهذا بدوره يلقى التبعة على المسئولين عن الدعوة فى العالم الإسلامى ، أن يتبنوا هذا المنهج القويم ، كما يلقى بالتبعة أيضًا على المسئولين عن الإعلام فى البلاد الإسلامية، أن يفسحوا الطريق فى المجال الإعلامى، لتقديم المزيد من برامج

---

(١) نقلا عن المعجزة المتجددة فى عصرنا – الإسلام – تأليف صالح بن محمد حليس اليافعى ص ٥٦٦ باختصار – دار القدس للنشر والتوزيع – صنعاء اليمن – رقم الإيداع ٥٠٨٢ / ٢٠٠٤م. والآيات من سورة النصر كلها.

الإعجاز العلميّ المسموع والمشاهد والمقروء، إذ لم يأخذ الإعجاز العلمـــيّ حظـــه اللائق به من الإعلام في الوقت المعاصر.

* * *

الفصل الثالث

الإعجاز العلميّ فى القرآن والسّنة وصلته بمنهج الدعوة

المبحث الأول: ويتكون من مطلبين، على النحو التالى:

مواءمة الخطاب الإسلامي لتقنيات العصر

في إثبات نبوة الرسول الخاتم ﷺ

تعد هذه الصلة في العصر الحاضر من أوثق الصلات بمنهج الدعوة، فالخطاب الإسلامي لكل البشر، لا يلزم أن يأخذ صورة واحدة لا تتغير على مدى تاريخ الدعوة، بل يلزم أن يكون مواكبًا لظروف كل عصر من عصورها، وملائماً لحال المخاطبين بها، وفق المعايير التي وضعها الإسلام وخاصة أن هذا العصر ــ الذى نعيشه الآن ــ قد بلغ الذروة في العلوم الحديثة، التي أحدثت ثورة في عالم الاتصالات، ونقل المعلومات، والتقاء الحضارات، والتأثير المباشر في ثقافات الأمم المختلفة، مما لا يجعل قيمة كبيرة للأساليب الإنشائية عند مَن بنوا حياتهم على هذه "التكنولوجيا" المتقدمة، وأصبح المنطق يقرر مخاطبة هؤلاء بنفس اللغة التي يعيشونها .. لغة التقنيات العلمية خاصة لدى العقل الغربي.

ورسالة الإسلام رسالةٌ ربانيةٌ في منهجها ومقصدها، كما أنها رسالة عالمية للناس كافة على اختلاف أجناسهم، ومن ثَمَّ يعد إبراز قيم الإسلام وتعاليمه بما يتوافق مع عقلية المتعاملين مع "الكمبيوتر والإنترنت" وما يستجد من اكتشافات علمية، أمرًا مفروضاً ومحتمًا.

فعصر الفضاء الذى نعيشه، عصر مفتوح له فى كل يوم جديد، مما يحتاج كذلك إلى خطاب إسلامي جديد في شكله ومظهره، ووسائله وأساليبه، وأيضا فى كيفه فهما واستيعابا وقوة حجة واستدلالا وفقها فى عرضه ... الخ.

يقول الدكتور زغلول النجار:

إن الدعوة بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة هو الوسيلة المناسبة لأهل عصرنا ــ عصر العلم والتقنية ــ الذى فتن الناس فيه بالعلم ومعطياته فتنة كبيرة، ونبذوا الدين وراء ظهورهم ونسوه، وأنكروا الخلق والخالق، كما أنكروا البعث والحساب والجنة والنار، وغير ذلك من الغيبيات؛ لأن هذه الأصول قد شوهت في معتقداتهم تشويهًا كبيرًا، ولم تعد مقنعة لهم؛ وعلى ذلك فلم يبق أمام أهل عصرنا من وسيلة مقنعة بالدين قدر الإعجاز العلميّ في كتاب الله وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله ــ صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين[١].

فإذا علمنا أن أكثر من يعيشون على ظهر المعمورة، لديهم خواء عقدى، أما لبطلان عقائدهم، أو عدم انتمائهم إلى عقيدة أصلاً؛ كان ذلك أدعى إلى شحذ الهمم لعرض الدعوة الإسلامية ــ تلك الدعوة الوحيدة في العالم المعاصر التي تحتفظ بخاصية بقاء مصدرها ــ قرآنًا وسُنة ــ عصيًا على التحريف، وخاليًا من التعارض والتضارب والاختلاف، ومتناسقًا ــ في الوقت نفسه ــ مع الحقائق العلمية.

ومتى علم الناس من خلال عرض الدعوة الإسلامية عليهم، أن العلم الحديث قد سبقه هدى القرآن الكريم وأقوال النبى ﷺ بأربعة عشر قرنًا من الزمان، أصبحت الحجة عليهم بصحة هذه الرسالة وصدق نبيها ﷺ في دعواه النبوة وإثبات أن الوحى نزل عليه بيقين.

وأنّ هذا هو الحقُ الأبلجُ الذى لا محيصَ عنه، ولا بديل له في عالم العقيدة والشريعة والرسالة الإلهية الصحيحة المنقذة للبشر على مدار الزمن من ظلمات

---

(١) الأرض في القرآن الكريم، ط دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٧٥.

الشهوات والأهواء.

إن مما يشغل ذهن الداعية وقلبه، أن يثبت (لمخاطبه) صحة نزول الوحي إلى الرسول ﷺ ، فهي بيت القصيد في الدعوة إلى الله (عز وجل)، فمتى سلّم المخاطب بها استقبل كل أنواع التكليف باعتقاد أن صاحب الرسالة ﷺ يوحى إليه من قبل الله (عز وجل)، والعكس صحيح كذلك في رفض أى تكليف إلهى نتيجة عدم الإيمان بأن صاحب الرسالة يوحى إليه، ومن الأمور البدهية المعلومة .. أن معارف البشر لها طريقان:

١- الاكتساب ٢- الإلهام أو الوحي

فالاكتساب يتيسر لكل الناس تحصيل معارفه، متى توفرت أسباب هذا التحصيل، يستوى في ذلك المؤمن وغير المؤمن.. المطيع والعاصى على حد سواء.

أما الإلهام فلا يُنال إلا لخاصية من الناس المؤمنين، وأعلى درجات الإلهام هو الوحى الإلهى عن طريق أمين الوحى سيدنا جبريل (عليه السلام) وذلك خاص بالأنبياء لتبليغ رسالة الله إلى الناس.

وذلك ثابتٌ لكلّ رسولٍ من السابقين كنوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى (عليهم السلام) وذلك مقرر لدى المؤمنين بالرسالات الإلهية الصحيحة، أما غير المؤمن بأى رسالة إلهية، فهل يجدى معه أن تقول: له إن القرآن نزل عن طريق الوحى الإلهى، أو السُنة جاءت عن طريق هذا الوحي؟ إنه لا يصدق نظرًا لقيام حياته على منهج وسلوك مادى بحت.

ومن ثَمَّ فلا يجدى معه الكلام أو النقاش، أما إذا قلت له بالمنهج الحسي أثبت لك نزول الوحي إلى رسول الله ﷺ من خلال ما أثبتته أبحاث الإعجاز العلميّ

في القرآن والسنة، فلا شك أنه سيعيد حساباته تجاه موقفه من الإسلام، فهو إن لم يؤمن به فلن يتجنى عليه، وكم من خواص العلماء أسلموا بسبب الإعجاز العلمي وقد ذكرت نماذج لبعضهم فيما سبق .

وهنا تبرز أهمية الإعجاز العلميّ وصلته القوية بمنهج الدعوة الإسلامية خاصة في هذا العصر.

ثمار صلة الإعجاز العلمي بمنهج الدعوة

من خلال تبنى الإعجاز العلميّ في منهج الدعوة إلى الله (تعالى) أينعت ثمار كثيرة منها:

١- إسلام الخواصّ من العلماء، سواء في مجال الطب أو علوم البحار وغير ذلك من العلوم الأخرى.

إن أول ما يتمناه الداعية الصادق ويحرص عليه في تبليغ الدعوة، أن يهدى الله (تعالى) من خلال دعوته من شاء من غير المسلمين، وذلك عند الداعية خير مما طلعت عليه الشمس.

تثبيت الإيمان في قلوب الكثيرين المؤمنين، بعد أن كشفت أبحاث الإعجاز العلميّ عن صدق وصحة الوحى إلى رسول الله ﷺ بطريق علمى لا بعاطفة أو انقياد تقليدي؛ مما يولد الحزم والعزم في مطاردة شياطين الإنس، وفي المضى قدمًا في سبيل الإيمان وصدق الله (تعالى) إذ قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[(١)]. وقال (عز وجل) أيضًا: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[(٢)]، أى يفتح طريقًا إلى يقين الإيمان وذلك أعلى مراتبه..

---

(١) سورة محمد الآية (١٧).

(٢) سورة البقرة من الآية (٢٦٠).

المطلب الثاني

الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم

وأحاديث الرسول ﷺ معجزة متجددة

يُعَد الإعجاز العلميّ في القرآن وأحاديث الرسول ﷺ معجزة متجددةً لـدى كل قبيل وجيل من الناس إلى قيام الساعة، فإذا كانت المعجزة أمرًا خارقًـا للعـادة يظهره الله (تعالى) على يد من يدعى النبوة إثباتًا له في صحة دعواه، وتحديًا لكـل منكر لنبوته، فإن الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ يقوم بذلك على مدار العصور، فلا يمضى جيل دون أن يكتشف العلم الجديد في أبحاثه، ممـا له إشارة في القرآن أو السنة، حتى إذا وقف العلم على وجود حيـاة وأنـاس فـي الكواكب الأخرى فسيجدون لها إشارة في القرآن الكريم باستخدام لفظ مَنْ للعاقل في قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ (١٥)﴾[1].

وإن كان المفسرون يرجعونها إلى الملائكة، وهو التفسير السائد إلى الآن، فإذا وجد غير ذلك من عوالم بشرية فلا يمنع دخولها تحت مَنْ (للعاقل)! بل وقتهـا ستكون هي المقصود كإشارة علمية على نزول الوحي إلى رسـول الله ﷺ ، فـإذا علمنا أن معجزات الرسل السابقين عليهم السلام كانت ماديـة ومقـصورة علـى المشاهدين لها فحسب، ومن حقّ من لم يشاهدها أن يصدق بها أولا يـصدق، فقـد جعل الله (تعالى) معجزة الرسول الخاتم ﷺ بالإضافة إلى المعجزات المادية التـي جرت على يديه باقية بقاء الزمن في القرآن الكريم وأقوالـه ﷺ ، يكـشف العلـم الحديث تباعًا عما يحويه نصوص كل منهما من كنوز وأسرار كونية، تكون بمثابة المعجزة الباقية المتجددة أمام العقول الباحثة عن أسرار العلوم الكونية والتجريبيـة،

---

(١) سورة الرعد آية (١٥).

وتحمل في نفس الوقت البرهان والدليل على صحة نزول الوحى، وإثبات النبوة لرسول الله ﷺ وقد شاء الله (عز وجل) ذلك، لكون الرسالة الإسلامية خاتمة الرسالات الإلهية، وموجهة لكل الناس في كل عصر ومصر إلى قيام الساعة؛ لاشتمالها على ما يصلح شئون البشر قاطبة وقت تطبيقها التطبيق الأمثل القائم على الفهم الجيد والإخلاص التام لله رب العالمين.

وإذا كان للإعجاز العلميّ في القرآن والسُنة دور بارز في إثبات قضية الوحى إلى رسول الله ﷺ فإن إثبات نبوته يكون نتيجة بديهية بالتبع، فكل من صدق بنزول الوحى إليه(ﷺ) آمن وصدق كذلك بنبوته، وأنه ما جاء بهذا الهدى من قبل نفسه أو قرأه في تراث الأمم السابقة، فهو ﷺ ، أميّ نشأ في بيئة غلبت عليها الأمية، وعاش أربعين سنةً راعيًا وتاجرًا، دون أن يتكلم ببنت شفة عن هذا الهدى الذى علّم به الدنيا كلها ﷺ فمن ثم فلم يبق إلا أن يكون نبوة جاءته ورسالة إلهية أوحيت إليه، فإذا نجح الداعية في إقناع مخاطبه بإثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ ، ضمن التوفيق في إقناع سامعه بكل ما يدعوه إليه، خاصة إذا كان المخاطب غير مسلم ابتداءً، وأقرب الطرق وأقوى الأدلة في إقناع المخاطب بإثبات نبوة سيدنا محمد أن يعرض العديد من مجالات أبحاث الإعجاز العلميّ في القرآن والسنة فذلك طريق مأمون ومقنع، ويأخذ بالألباب دون غيره من الكلمات المرسلة والأساليب الإنشائية أو الخطابية أو القصصية.

إن النفس البشرية، التي تعيش في ظلام عقدى دامس، لا يهديها إلى طريق الحق إلا سطوعُ أنوارِ الحقيقةِ الواضحةِ وضوحِ الشمس، وليس أوضح من تبنى قضايا الإعجاز العلميّ في الاستدلال على صدق الوحى والنبوة، لدى عالَم يعيش على تقنيات مذهلة وثورة علمية هائلة تبنى حياتها على منهج مادى في ظل خواء عقدى!

كما يعدُّ تناول قضايا الإعجاز العلميّ وسيلة ناجحة في كشف مفتريات

المستشرقين من الغلاة المتعصبين الذين دأبوا على وضع الشُبَه حول الإسلام، سواء في ميدان كتابه، أو سنة رسوله ﷺ أو شريعته، أو سيرة رسوله ﷺ وآله وأصحابه (رضى الله عنهم أجمعين).

وذلك على نحو ما اتسعت له الكتبُ الصادرةُ من أصحاب الاتجاه العدوانيّ من المستشرقين، وذلك عن خبث نيّةٍ وسوءِ طويّةٍ منهم، لتشويه صورة الإسلام في أذهان الغربيين غير المسلمين، لعزلهم عن حقيقة الإسلام، وعزل شبابه خاصّة عن ميدان التدين الصحيح، ولا غرابة في ذلك، فالكثير منهم يعمل لحساب التبشير وتحت رايته، وإن لم تبد هذه الراية لأنها تعمل دائمًا في صمت ومكر!

ولقد شمّر عن ساعة الجد كثير من علماء المسلمين على مدار التاريخ؛ للردّ على هذه الشبهات، ودحض هذه المفتريات بشتى صنوف الردود العلمية.

وذلك من خلال الوسائل الدعوية.. ويبقى ما وصل إليه الإعجاز العلميّ في القرآن والسنة في مقدمة الوسائل التي تدحض هذه الشبهات وتعصف بهذه الضلالات وذلك من خلال رياح الحق الأبلج، التي أثبتتها الاكتشافات العلمية الحديثة في آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ

***

المبحث الثانى

الفقه الدعوى لآيات وأحاديث الإعجاز العلميّ وصلتها بمنهج الدعوة

ويتكون من : تمهيد ، وعدة مطالب ، على النحو التالى :

تمهيد:

من الأمور المعلومة من الدعوة بالضرورة، أن ليس كلّ ما يعرفه الداعية يعرضه على الناس فى كل الظروف،وإنما لكل ظرف ما يناسبه؛ ومن ثَمّ فالفقه الدعوى لا يقل أهمية عن تحصيل العلوم المؤهلة لنجاح الداعية، وفي مقدمة هذا الفقه الدعوى مراعاة الأولويات عند عرض الدعوة وتربية النفوس.

بل إن أبرز صفات الداعية الناجح، هو مراعاته أحوال المدعوين .. زماناً .. ومكاناً .. وأذهاناً، فذلك يقرب المسافة بين الداعي والمدعوين، بل يعينه ــ بعد توفيق الله تعالى ــ على أن يقنع عقولهم، ويمتع قلوبهم، ويدفعهم إلى تطبيق ما يريده منهم.

والفقه الدعوي يحتاج دائمًا إلي أمرين:

الأمر الأول: مراعاة ظروف المدعوين وأذهانهم.

الأمر الثاني:أن يكون الداعية على صلة كبيرة بالله تعالي، فيرقى إيمانه بها إلي درجة اليقين؛ مما يؤهله لنيل فيض من الله عزّ وجلّ على عقله، ونور في قلبه؛ وذلك لا ينال بكسب أو دراسة، وإنما بمجاهدة النفس دائمًا لقبول الحق، ورفع رايته، وتحمل الشدائد في سبيله والصبر على الإيذاء المادي أو المعنوي ممن يدعوهم . فذلك شأن الداعية الناجح الذي يجعل الدعوة رسالته ورضا الله تعالى غايته.

وبهذا الفيض الإلهي، الذي يعد هبة من الله تعالي لمن صدق معه، يكون

التأثير في المدعويين ـــ من خلال اعتناقه الحق، والعمـــل بمقتـضياته ـــ عظيمًــا وبليغًا وجميلًا وحميدًا، ولذلك قيل: (حال رجل فى ألف رجل خير من مقـال ألــف رجل فى رجل)[1] .

ألا ما أحوج الدعوة في هذا العصر، الذي انتعشت فيه الشهوات، وسيطرت فيه الأهواء، إلي مثل هذا الطراز من الدعاة الملتزمين بقبول الحق والعمــل بـــه. فمهمة بناء القلوب والعقول ليست كبناء الحوائط والجدران، تتوقف على رص مواد البناء، فإن الأمر في القلوب أكبر وأجل، ومن خــلال الوقــوف الآيــات القرآنيــة والأحاديث النبوية التي وردت فى هذا البحث ، والإشارات العلمية، التي حفلت بها واشتملت عليها، يمكننى أن أذكر النقاط التالية، التي تمثل فقهًا دعويًا ومنهجيًا لمــا جاء فيهما:

---

(١) كلمة منسوبة إلي الإمام على رضى الله عنه.

المطلب الأول

ثقافة الداعية

إن تنوع الخطاب عامة فى القرآن الكريم وأحاديث الرّسول الله ﷺ عند تبليغ قضايا العقيدة وما يتبعها مما يتعلق بالآيات الإنسانية والآيات الكونية .. أى ما يتعلق بنشأة الإنسان، ومراحل خلقه وتكوينه .. وما يتعلق بما في الكون من سماء وما فيها من نجوم وشمس، وقمر، وسحب، وأمطار وأرض، وما فيها من جبال، وأنهار، وزلازل ومعادن، وغير ذلك ليعطي دلالة قوية على وجوب تسليح الداعية بشتى العلوم والثقافات، سواء منها ما يتعلق بالعلوم الدينية، التي هي مجال تخصصه الدقيق الخاص، كالتفسير وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والتوحيد، والسيرة، والتاريخ، و سير الصحابة والتابعيين ...الخ، أو ما يتعلق بالعلوم الكونية كالفلك، والرياضة، والجيولوجيا ....الخ، أو ما يتعلق بالعلوم الإنسانية، كعلم النفس، والاجتماع، وغير ذلك من العلوم، التي هي مجال التخصص العام للدعاة، حتى يكونوا فائزين بصفة الثقافة، وجديرين بلقب المثقفين.. الذين يعرفون شيئًا عن كل شئ.

وتتفاوت درجة تحصيل هذه العلوم بالنسبة للداعية، ففي مقدمتها الحرص كل الحرص على العلوم الدينية، فهي بيت القصيد بالنسبة له، والعمود الفقري لدعوته، ثم تكون العلوم الأخرى مكملة ومتممة. وليس بلازم أن يصل تحصيله لها بدرجة التخصص فيها، فذلك تكليف له بما فوق طاقته، وإنما يكفيه أن يلم ما استطاع من أسس هذه العلوم ومبادئها وقوانينها العامة، حتى يمكنه أن يخاطب كل طائفة من الناس بحسب إدراكها العقلي وسعتها الذهنية، ومن ثم يكون لذلك الوقع الحسن لدى المخاطبين.

وإذا كان هناك أحدٌ لا يستغني عن الماء، فإن الداعية لا يستغني عن

القراءة، فكثرة القراءة تمكّن الداعية من الوقوف على حقائق الدعوة ومقاصد منهجها، وتيسر عليه تقديم الحجج القوية والبراهين الساطعة عن الإسلام.

كما تمكنه من الوقوف على العديد من آراء الفقهاء، وذلك يثري لديه أمر الفتوى، واختيار أيسرها، مما يجعله في سعة من مراعاة أحوال المخاطبين.

ولكل هذه الأهمية؛ جاء التوجيه الرباني إلي القراءة بفعل الأمر (اقرأ)، قال الله تعالي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1] . كأول آيات من القرآن الكريم، وفيها دلالة على تحصيل جميع العلوم، فلم تخصص لونًا معينًا منها، كما أن معرفة العلق، الذي هو أحد أطوار خلق الإنسان، يستدعي الإلمام القراءة في علم الأجنة من علوم الطب ذلك.

وفي نهاية حديثى عن النقطة الأولى أقول: ألا ما أحرى الدعاة أن يضعوا هذا الأمر - (اقرأ) - نصب أعينهم على الدوام، ليمارسوا تبليغ الدعوة بعلم وبصيرة، يجلوان ضلالات العقول، ويزيحان غشاوات القلوب؛ حتى يقف المدعوون على اختلاف مداركهم على الحق الأبلج، والنور الساطع في الإسلام.

* * *

---

(١) سورة العلق الآية (١-٥) .

المطلب الثانى

يقين الداعية

اليقين أعلي مراتب الكمال الإيمانيّ، وهو يعنى وصول المؤمن إلي مرتبة إيمانية ينتصر بها على شهواته؛ فيصبح ولا مراد له إلا الحق، وتلك مرتبة عباد الله الصالحين المخلصين وفى مقدمتهم الأنبياء والرسل .

والدعاة إلي الله تعالي أحرى الناس بهذه المنزلة بعد الأنبياء، فقد شرفوا بالشهادة لله بالواحد نية بعد الله والملائكة في قوله تعالي: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾(١) .

والداعي إلي الله تعالي إن لم يرق إيمانه إلى مرتبة هذا اليقين، يعتري دعوته القصور في العرض والأداء والتأثير، بقدر النقص في يقينه.

ونأخذ هذا اليقين المطلوب للداعية من إصرار النبي ﷺ على إعلان التمسك بالحق الذى يوحى إليه، ففي الحديث الذي يفيد وصف النبي ﷺ العسل لشفاء البطن كرر الرجل السؤال مرتين، وفي الثالثة قال له الرسول ﷺ: "صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرئ " ، وهو حديث صحيح.

فالإصرار من النبيّ ﷺ على قدرة العسل علي الشفاء بإذن الله تعالي، كسبب من الأسباب التي شرعها الله "عز وجل" فيه الإشارة إلي وجوب إصرار الدعاة إلي الله "عز وجل" على الحق المشروع، فالحق واحد، لا يتعدد، ولا يتلون، ولا يتجزأ، ولا يتغير شأنه من وقت لآخر، ولا من شخص لآخر.

***

---

(١) سورة آل عمرن الآية (١٨) .

المطلب الثالث

تلوين الخطاب الدعوي

إن من يقرأ القران الكريم والأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ والتي تتعلق بالآيات الإنسانية، والآيات الكونية، والتي سبق عرض بعضها خلال هذا البحث يمكنه أن يستشف منها أمرًا يتعلق بفقه الدعوة، وهو:

تلوين الخطاب الدعوى ليشمل كل المخاطبين بالإسلام، بحيث يؤدي هذا التلوين إثارة انتباه السامع، ومن هنا أنبه .. إلى أن الداعية لو أدخل حديثه أو خطابه صوراً أو تشبيهات بسيطة من المعارف المختلفة؛ فسيكون ذلك أعون على جذب المدعويين إليه، خاصة إذا كانوا ذوي ثقافات متعددة، كأن يكون فيهم الطبيب والمهندس والجيولوجي والفلكي.....الخ.

فإذا قال الداعى مثلاً : إن الإيمان يزيد بالطاعة كما ترتفع درجة الحرارة فى (الترمومتر) وينقص بالمعصية، كما تنخفض الحرارة في هذا الجهاز، فلا غبار عليه، لأنه أراد بهذا التلوين شد انتباه السامع، وأدي ذلك في نفس الوقت إلى متابعة الداعية، والتواصل المثمر معه، شريطة أن تكون المادة المعروضة منه صحيحة عند أهلها، وألا يقحم نفسه فى تفاصيل أهل الاختصاص، ما لم يكن واثقًا من صحة ما يتعرض له، خاصّة أن النفس تهفو إلي كل جديد، وكل جديد من الدعاة على وجه أخص!.

ولعل المعارف العلمية المتنوعة، التي ساقها فضيلة الشيخ محمد متولي

الشعراوى[1] (رحمه الله) خلال خواطره التفسيرية للقرآن الكريم تؤكد ذلك ... فكم شدّت أسماعَ وانتباهَ الألوفِ المؤلّفةِ من السامعين المشاهدين لشاشات التلفاز، في لمحة بسيطة، وخاطرة سريعة، لكنها مؤثرة أشد التأثير!

***

---

(١) ولد الشيخ سنة ١٩١١ بقرية دقادوس بالدقهلية، نشأ في أسرة متدينة، فحفظ القرآن الكريم وزوجه والده وهو في مرحلة التعليم الإبتدائي بالمعهد الدينى، وعمل مدرسًا بمعهد طنطا الثانوي فى بداية الأربعينات، وأعير للعمل فى مكة سنة ١٩٥١ ثم أعير للجزائر سنة ١٩٦١، وتولى منصب وزير الأوقاف، وتوفي فى ١٩٩٨/٧/١٧ .

انظر موسوعة رجال ونساء من مصر، تأليف الأستاذ (لمعي المطيعي) صـ٥٩٣، ٥٩٤، ط.دار الشروق سنة٢٠٠٣.

المطلب الرابع

أهمية السؤال ومبادرة الداعي إلى الجواب

للسؤال أهمية كبيرة في تبليغ الدعوة، فهو أحد وسائلها الفعالة، وهو ينم عن ظاهرة صحية في التدين وتحصيل العلم، فلا يحرص على السؤال في النواحي الدينية، إلا من له رغبة فى معرفة أحكام دينه، وفهم مقاصده؛ مما يترتب على ذلك زيادة الإيمان ساعة العمل، بعد حصول العلم عن المسئول عنه.

والسؤال تارة يكون محمودًا يثاب صاحبه، إذا أراد أنْ يتعلم، ويكون مذمومًا إذا قصد التحدي، أو التعنت، أو إظهار عجز المسئول، وقد كانت الكثيرات من الصحابيات (رضي الله عنهن جميعًا)، يسألْن رسول الله ﷺ ليتعلمْن أحكام دينهن، وليقمن بتبليغها لأخواتهن وبناء جنسهن.

وقد كان في سؤال أم سليم الأنصارية رسول الله ﷺ ، عن المرأة إذا احتلمت، واحدًا من هذه الأسئلة، وقد سبق العرض المفصل عن هذا الحديث خلال هذا البحث.

وفي إجابة النبي ﷺ على سؤالها وسؤال غيرها، مما استوعبت تفصيله كتب السُنة، ما يفيد أهمية الإجابة بالنسبة للدعوة والداعية.

فكلما أجاب الداعية على السؤال الموجه إليه بعلم ومعرفه وحكمة، استراح السائل، ووقع فى نفسه قبول الداعية، واقتربت المسافة بينهما، وقويت الصلة بينهما، أما إذا اعتذر الداعية عن الإجابة، وتكرر منه ذلك عدة مرات، اتسعت الهوة بينة وبين من يستمعون إليه.

وللداعية أن يسهب في الإجابة إذا اقتضى الأمر ذلك ففى حديث أم سليم (رضي الله عنها) السابق، نرى أن الرسول ﷺ قد أسهب في الإجابة لمقتضى

الحال أو زيادة بيان، فقد سألته أم سليم (رضى الله عنها) عن اغتسال المرأة إذا احتلمت فقال ﷺ نعم إذا رأت الماء، فقالت أم سلمة (رضى الله عنها) وتحتلم المرأة قال نعم فيم يشبهها ولدها.

فهنا ندرك سرعة إجابته ﷺ على السؤال مع الإفاضة في البيان، فقد كان يكفى في الإجابة نعم، لكن الاحتلام تارة يكون بإنزال الماء وبدونه، والحكم الشرعى يوجب الغسل عند نزول الماء فقط، لا مجرد الاحتلام، فاقتضى المقام التفصيل والبيان مع سرعة الإجابة.

* * *

الخاتمة

وتتضمّن بعض النتائج والتوصيات للدّعاة

أولاً : النتائج

إذا كانت صياغة خاتمة البحث العلمي، تعنى حصر نتائجه المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بقضاياه، فإنه – بتوفيق الله تعالى – يطيب لي أن أعرض هذه النتائج على النحو التالي:

١ – الإسلام لا يتعارض مع حقائق العلم:

لقد وضع الكثير من الآيات القرآنية المتعلقة بالكون والإنسان، وكذا الأحاديث النبويّة الصحيحة، والتي سبق ذكر بعضها تحت مجهر البحث العلمي ــ الذي لا يعرف التواطؤ أو المجاملة ــ فأقر بصدق محتواها ــ بل بسبقها إلى كشوفه ونتائجه، وهذا يكشف بدوره عن عدم التعارض بين الحقائق العلمية وما جاء به الإسلام في شتي المجالات الخاضعة للبحث التجريبي، فالحقائق العلمية نهاية ما تصل إليه من البحث والدرس – هو إقناع النفس بأن وراء هذه الظواهر خالقًا قادرًا وليس الصدفة العمياء، وأن هذا الخالق مهيمن على كل لبنة فى الكون خلقًا وتقديرًا هيمنة ــ في حركتها أو سكونها،هذه اللبنة التي تكبر حتى تكوّن المجرات والتي تصغر إلي أصغر من الذرة!

وقد جاء الإسلام لتقرير حقيقة التوحيد لله تعالي بكل معانيه، ومن هنا يكون التلاقي للحقائق العلمية بالآيات الكونية والإنسانية في الإسلام، والتي حملت الإشارات إليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

فكل حقيقة علمية لها ما يدعمها من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة إذ لا تصادم بين حقائق العلم ونصوص الوحى، وهذا يثبت ويؤكد نزول الوحي إلي

رسول الله ﷺ بطريق علمي لا مجال معه للتعصب أو الإنكار.

وحسبنا أن أول آية من القرآن الكريم نزلت، تدعو إلي العلم والقراءة في شتي مجالات العلوم، امتثالاً لأمر رب العالمين "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" مع الذكر والإشادة بأحد أدوات تحصيل العلم وهو القلم، ولم يقتصر النص (اقرأ) على القراءة الدينية فقط، بل سائر العلوم المختلفة، ومنها الطب، ليعرف كيف خلق الإنسان من علق.فدعوة الإسلام إلي تحصيل العلم دعوة شاملة، بخلاف ما كانت عليه الكنيسة فى العصور الوسطي، والتي رأت أن ولوج ميدان العلم التجريبي يخالف مشيئة الرب حتى لو كان المكتشف مصباح إضاءةٍ بالليل.

واُقتيد من أجل البحث العملي جهابذة العلماء الطبيعيين إلى السجن، أو الإعدام والحرق، وفي مقدمة هؤلاء (كوبر نيوكس)، وتاريخ محاكم التفتيش خير شاهد على ذلك.

٢ - أن المنهج الإسلامي يحمل فى ذاته المعجزة المتجددة، التى تناسب كل عصر، فقد اشتملت ألفاظ القرآن الكريم على أعلى درجات البلاغة؛ مما يكون معجزة أمام البلاغيين والفصحاء، وذلك يتناسب مع الصّدر الأول للرسالة الغرّاء، وفيه المعجزة المتجددة أيضًا التي تروق أهل التقنيات العلمية، بما تضمنته نصوص القرآن من إشارات علمية، وقفنا – بفضل الله تعالي – على بعضها خلال هذا البحث، والتي أخذت بلب جهابذة العلماء، أمثال (كيث مور) (وثاجاتات)، وغيرهما.

كما تضمنت أحاديث الرسول ﷺ – فضلًا عن أوجه البلاغة والفصاحة، أوجهًا من الإشارات العلمية التي أكد البحث العلمي صحة ما أشارت إليه، بل وسبقها في هذا المضمار، وقد مر بنا ذلك أيضًا خلال هذا البحث. وهكذا سيظل عطاء القرآن والسُنة يناسب كل جيل، ويقدم كل جديد، مما يقيم الحجة الدامغة على

سائر العقول، في شتي بقاع المعمورة، فالإسلام دينٌ عالميٌ خالدٌ خاتمٌ، ومن خصائص منهجه، أن يكون مستوعبًا لما يصلح الحياة في أي زمان أو مكان، فالإسلام للإنسان. أينما وجد ـــ زمانًا ومكانًا ـــ والإنسان هو الإنسان في كل خصائصه ورغباته ونزعات نفسه منذ بدء الخليقة إلى فنائها الدينوي ومن ثَمّ يحتاج دائما إلى المنهج المرتبط بالسماء نعم يحتاج إلى الإسلام الحقيقي عرضًا وسلوكًا.

٢- ثبت من خلال هذا البحث بطريق علميّ أن: الرسول محمدًا ﷺ يُوحَى إليه ، وأنه ما جاء بهذا الهدي عن طريق اكتساب من معلمين ، أو من كتب دينية سابقة ، ككتب اليهود والنصارى ، أو البوذيين ، أو غيرهم ، وإلاَّ أعلن أعداء الإسلام ذلك للناس وما كتموه وقت بعثته نفيًا لتحدي الرسول ﷺ بالنبوة والوحي .

ولم يكن هذا الهدي وليد تراث حضاري أو معارف حضارية أخذت من حضارات المصريين أو الفرس أو الهنود أو اليونانيين ..الخ، وإلا لسجل كتراث حضاري، كما سجل قدماء المصريين بعض معارفهم على أوراق البردي.

ولا يعدّ هذا الهدي النبوي وليد عبقرية للرسول ﷺ وإلا لأظهره فى شبابه تيها به على شيوخ قريش فضلًا عن شبابها.

وبذلك لم يبق إلا أن يكون مصدر هذا الهدي هو الوحي الإلهي، الذى نزل على من سبقه من الأنبياء والرسل، أمثال: إبراهيم وموسى وغيرهم (عليهم جميعًا الصَّلاةُ والسلامُ)، فإذا كان أهلُ الديانات يسلّمون بنزول الوحي إلي الأنبياء فما المانع من نزوله إلي رسول الله محمد ﷺ ، بل لولا القرآن والسنة، ما استطاع أحد أن يسلم بنزول الوحي إلي هؤلاء الأنبياء؛ لفقدان الدليل القطعي فى هذا الشأن، بسبب تحريف الكتب الإلهية السابقة عن نصها الأصلي.

٤ - أثبتت الأحاديث ذات الصلة بالإعجاز العلمي تصحيح هدي النبي ﷺ لمسائل علمية ، لم يحسم أمرها علميًا ، إلا منذ فترة وجيزة ، فحتى القرن الثامن عشر ، والخلاف واقع بين العلماء في سبب تكوين الجنين ، أهو من الرجل وحده ، أم من المرأة وحدها ، أم من حيض المرأة على وجه الخصوص . ولم يتم الحسم . ـ علميا ـ في خلق الجنين من الذكر والأنثى على حد سواء إلا مؤخرًا ، أي منذ قرنيين تقريبًا ، بينما القرآن الكريم والسنة الصحيحة الصادرة عن رسول الله ﷺ . أشارا بمسئولية كل من الرجل والمرأة عن تكوين الجنين ، أي من مني الرجل وبويضة الأنثى ، منذ أربعة عشر قرنًا خلت .

ومثل ذلك في علم الوراثة المهتم بالصفات الظاهرة أو المتنحية والمسبوق بقوله ﷺ "فبم يشبهها ولدها؟ ففى هذا سبق لما جاء به علم الوراثة الذي لم يعرف علميًا إلا مؤخرًا على نحو ما سبق وتناولتُه في هذا البحث.

وبذلك يثبت تصحيح وسبق الهدي الإسلامي ــ قرآنًا وسنة ــ اكتشافات العلم الحديثة في هذا الشأن، ومن ثَمَّ يحقٌ لكل مسلم أن يتيه فخرًا بذلك، ويلزمه أنْ يطبق هديه في شتى مجالات الحياة.

٥ - تعد الآيات المتعلقة بالكون والإنسان فى القرآن ، وكذلك الأحاديث ذات الإشارات العلمية ، التي أثبت البحثُ العلميُّ صدقهَا وصحتهَا ، حجراً يلقى في أفواه المفترين على الإسلام ، وفي مقدمتهم غلاةُ المستشرقين الذين يعملون لحساب التبشير من ادعائهم أنّ القرآن من عند محمد تلقاه من حنفاء العرب كزيد بن عمر بن نفيل أو رهبان النصارى كبحيرى الراهب أو غيرهم .

فكيف والأبحاث العلمية التي أثبتت صدق وسبق الإشارات العلمية في الكتاب والسنة، لها عشرات السنيين فقط؟ فما بالنا بأربعة عشر قرنًا من الزمان، وبهذا يكون الإعجاز العلمي فى القرآن والسنة حجة ضد مطاعن المستشرقين

والمفترين على القرآن والسنة عامة.

وهنا يلزم مَنْ يتناول الدفاع عن الإسلام ضد مطاعن المستشرقين، أن يستعين بما قدم الإعجاز العلميّ فى القرآن والسنة، كدفع من أقوى الدفوع فى هذا الميدان الوعر، ميدان الافتراء على الإسلام من قبل كثير من المستشرقين الذين لا يرعون ضميرًا ولا يخشون الله (عز وجل).

- لو لم يكن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة إلا ثمرة التدليل على نـزول الوحى إلى رسول الله ﷺ بطريق علميّ، من خلال الإشارات التي حملتها نصوصُ القرآن والأحاديثُ النبويةُ، لكانت هذه الثمرة أهم وأبرز الآثار في هذا المضمار. وحسب العالم أجمع – خواصه وعوامه – الآن أن يوقن أن هذا الهدي جاء على رسول الله ﷺ عن طريق الوحي الإلهي الذي نزل به جبريل (عليه السلام) إلي رسول الله ﷺ بأمر من ربه (عز وجل)، ليكون خاتمًا للأنبياء والرسل، وتكون رسالته الغراء أيضًا خاتمة للرسالات الإلهية إلي قيام الساعة..وهي المنقذ الوحيد من ضلالات النفس البشرية وشهواته المستعرة .

***

التوصيات

١- أهيب بالإخوة الدّعاة أن يقرأوا كثيرًا عن الإعجاز العلميّ فى القران والسنة لما فى ذلك من فوائد عديدة فى تنوع الخطاب الدينى حيث إن أبحـــاث الإعجـــاز العلميّ تتعلق بالآيات الكونية والإنسانية مما لهما الأثر الكبير فى تبليغ الـــدعوة باقتناع عقلى وأسلوب دعويّ مؤثر لدى السامعين ليعيش الداعية تقنيات العصر طبقا للمنهج الإسلامى الذى يربط بين الدين والدنيا

٢- تعد القراءة فى ميدان الإعجاز العلميّ فى القران والسنة بمثابة الوقوف علـــى الأدلة المادية لنزول الوحى لرسول الله ﷺ ، وفى ذلك حجة قاطعة وحجر تلقم به أفواه غلاة المستشرقين الذين يذهبون إلى وضع الشبهات حول نزول الوحى إلى رسول الله ﷺ ، بدعوى أنه تلقى أفكاره من شعراء العرب وأحبار اليهـــود ورهبان النصارى .

٣- أهيب بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في العالم الإسلامي أن تقيم الدورات المتعددة حول الإعجاز العلميّ فى القران والسنة لجميع الأئمة والخطباء.

٤- عقد المسابقات المتكررة بين الأئمة والخطباء، ورصد الجوائز القيمة تحفيـــزا لهم على متابعة القراءة والمثابرة عليها فى ميدان الإعجاز العلميّ فى القـــرآن والسنة

هذا، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين .

***

المراجع

القرآن الكريم .

ثانيا كتب التفسير

١. إرشاد العقل السليم، إلى مزايا القرآن الكريم، المعروف بتفسير أبي السعود، وأبو السعود محمد ابن محمد العمادي المتوفى سنة ٩٥١هـ.

٢. الجامع لا حكام القرآن، تأليف الإمام القرطبي، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م الطبعة الثانية

٣. مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق الأستاذ محمد على الصابوني، الطبعة السابعة، وابن كثير: هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ

٤. تفسير القران الكريم : للشيخ شلتوت دار الكرم بيروت

٥. التفسير العلميّ للقران الكريم فى الميزان : د أحمد عمر أبو حجر - طبعة دار قتيبة بيروت.

٦. أسباب الخطا فى التفسير ، دار ابن الجوزى المملكة العربية السعودية ١٩٢٥هـ

ثالثا كتب السنة

١- السنن الكبرى للبيهقى ، ط، الفنية المتحدة.

٢- سنن أبو داود.

٣- سنن ابن ماجة

٤- سنن الترمذي. .

٥-شرح صحيح مسلم للإمام النووي: محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف بن مري.

٦- عمده القاري شرح صحيح البخاري، ط، مصطفي البابي الحلبي ــ القاهرة.

٧- فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، ط دار المعرفة ــ بيروت.

٨- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٩- مسند الإمام أحمد في مسنده، ط١، بيروت، لبنان.

رابعا كتب المعاجم

١- لسان العرب لابن منظور ط١ دار المعارف بمصر

٢- القاموس المحيط: تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ط دار الجبل ــ بيروت.

٣- المعجم الوسيط تأليف د/ إبراهيم أنس وآخرين، ط، دار إحياء التراث العربي

خامسا كتب تتعلق بالإعجاز العلميّ

٤- إنه الحق، الطبعة الثالثة، إصدار هيئة الإعجاز العلمي فى القرآن والسنة بمكة المكرمة.

٥- آيات الله في الآفاق، للشيخ عبد المجيد الزندانى.

٦- الإسلام والبيئة تأليف الأستاذ: عبد الواحد إسماعيل القاض، ط دار الاعتصام ــ القاهرة.

٧- الإشارات العلمية فى القرآن بين الدراسة والتطبيق، تأليف د كارم السيد غنيم.

٨- الإشارات العلمية فى القرآن د/ كارم السيد غنيم.

٩- الإعجاز الطبيّ فى القرآن والسنُة تأليف: محمد داود الجزائري، ط ــ دار

ومكتب الهلال للطباعة والنشر ــ بيروت سنة ٢٠٠٠م.

١٠- الإعجاز العلميّ القرآن والسنّة للدكتور/ راتب النابلسي.

١١- الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة، للأستاذ/ محمد كامل عبد الصمد، الناشر الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

١٢- الإعجاز العلميّ في الإسلام: القرآن. وساكيت : أستاذ علم البكتريا في كلية الزراعة في فورت كولنزا..

١٣- الإعجاز العلميّ فى السنّة النبوية: للدكتور / زغلول النجار، ط نهضة مصر سنة ٢٠٠٤ رقم الإيداع ١١٠٤٥.

١٤- الإعجاز العلميّ في السنة النبوية للدكتور صالح بن أحمد رضا، مكتبة العبيكان ــ الرياض ــ السعودية الطبعة الأولي سنة١٤٢١ سنة ٢٠٠١م.

١٥- الإعجاز العلميّ فى القرآن والسنة جهود وإنجازات.

١٦- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة للأستاذ/ محمد داود الجزائري، دار ومكتب الهلال، بيروت، سنة ٢٠٠٠م.

١٧- الاكتشافات العلميّة الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم د/ سليمان قوش.

١٨- التناسل البشري ــ مبادئ الطب التناسلي ط ٣ بيج وفيلي هيئة الإعجاز العلمي فى القرآن والسُنة بمكة المكرمة ــ من أبحاث المؤتمر العلمي الأولي للإعجاز العلمي فى القرآن والسُنة إسلام أباده باكستان سنة ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٧.

١٩- الجديد في المنظور العلمي للقرآن المجيد تأليف الدكتور إسلام الشبراوى، ط مكتب الرسالة الدولية للطباعة والنشر ــ القاهرة ــ عين شمس بدون سنه للطباعة..

٢٠- السنن الكبرى للبيهقي.

٢١- الطب النبوي: لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعى الدمشقي ابن قيم الجوزية ص ٢٣٦، ط، دار أحياء الكتاب العربية القاهرة. .

٢٢- الطب الوقائي في الإسلام: الدكتور/ أحمد شوقي إبراهيم، ط، مكتب وهبة بالقاهرة، رقم الإيداع ٥٠٩٨/ ١٧ ..

٢٣- الفقه الواضح د/ محمد بكر إسماعيل ، ط دار المنار، القاهرة، ١٤٠٠هـ- ١٩٩٠م.

٢٤- الكون والإعجاز العلمي في القرآن: د/ منصور حسب النبي، دار الفكر العربي، القاهرة سنة١٩٩٦ م . .

٢٥- المجموع شرح التهذيب للأمام محي الدين النووي، ط دار الفكر بيروت.

٢٦- المعجزة المتجددة فى عصرنا - الإسلام - تأليف صالح بن محمد حليس اليافعى، دار القدس للنشر والتوزيع - صنعاء اليمن - رقم الإيداع ٥٠٨٢ / ٢٠٠٤م.

٢٧- المغنى لابن قدامة، ط دار الكتب العلمية ، بيروت.

٢٨- الموسوعة الفقهية، ط٣، ٢٠٠٣م، وزارة الأوقاف بالكويت.

٢٩- الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية للدكتور أحمد مصطفي متولى، ط دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م،

٣٠- ثبت علميا للأستاذ محمد كامل عبد الصمد، الناشر الدار المصرية اللبنانية- القاهرة.

٣١- زاد المعاد في هدى خير العباد. لابن قيّم.

٣٢- قضية الإعجاز العلميّ للقرآن وضوابط التعامل معها، ط نهـضة، مـصر، الطبعة الأولى، يناير ٢٠٠٦م.

٣٣- كتاب الإعجاز العلميّ في القرآن والسنّة، الصادر عن جمعيـة الإعجـاز العلمي للقرآن والسنة بالقاهرة، العدد٢،

٣٤- لا إله إلا الله مادياً: الأستاذة إيمان أحمد الججاوى، التاريخ الطبيعي للصف الثالث الثانوي، تأليف عدلى كامل فرج وآخرون، ط الجهاز المركزى للكتـب الجامعية والمدرسية.

٣٥- من آيات الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم، حوار تلفزيونى أجـراه الأسـتاذ أحمد فراج مع الدكتور / زغلول النجار جـ ٢، مكتبة

٣٦- من آيات الإعجاز العلميّ: السماء في القرآن الكـريم، تـأليف الـدكتور: زغلول النجار، ط دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٧- من دلائل الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم والسنة النبوية للدكتور موسـى الخطيب، الطبعة الأولي سنـة١٤١٥ هـ - سنـة ١٩٩٤م ـ مؤسسة الخليج العربي ـ القاهرة.

٣٨- موسوعة الإشارات العلمية في القرآن الكريم والسُنة النبوية تأليف د/ عبـد الباسط الجمل، د/ دليا صديق الجمل، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، رقم الإيداع ٨٧٧٩ /٢٠٠٠.

٣٩- موسوعة الإعجاز العلميّ في الحديث النبوى الشريف، تأليف الأسـتاذ/ عبـد الرحيم ماردين، ط دار المحبة ـ دمشق الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م.

٤٠- موسوعة الإعجاز العلميّ في القرآن والسنة المطهرة: تأليف الأستاذ يوسف الحاج أحمد.

٤١- نبيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقي الأخيار، تأليف الأمـــام: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، المتوفى ١٢٥٥هجرية، ط دار الجبل بيروت ط، ١٩٧٣م.

الرسائل الجامعية :

١- أطوار خلق الإنسان، للباحث: عبد الوهاب عبد العاطى، رســالة ماجــستير بمكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة

٢- الحركات المناوئة للدعوة الإسلامية في العصر الحاضر ووسائل معالجهــا، الباحث/ نادى درويش محمد مكتبة أصول الدين بالقــاهرة، ســنة ١٩٩٦ رسالة ماجستير.

٣- تصوير السنة النبوية للدلائل الكونية وأثر ذلك في الدعوة للإسلام للــدكتور/ فوزي عبد العظيم رسلان، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بالقاهرة، سنة ١٤٠٨هـــ ــ ١٩٨٨م.

٤- الإعجاز العلمي في أقوال الرسول ﷺ من خلال الصحيحين البخاري ومسلم وأثر ذلك في الدعوة، رسالة دكتوراه (د. نادي درويش محمد)، كلية أصول الدين، بالقاهرة.

٥- جهود المنصفين من المستشرقين الباحث مصطفى احمد مرتــضى رســالة ماجستير بكلية أصول الدين بالقاهرة سنة ٢٠٠٣م.

٦- الموافقات فى أصول الشريعة للإمام الشاطبى.

٧- إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالي، طبعة عيسى البــابى الحلبــى القاهرة ١٣٥٣هــ - ١٩٣٩ م

٨- الفلسفة القرآنية: للأستاذ عباس محمود العقاد

وهناك مراجع أخرى وردت فى ثنايا البحث.

الفهرس

* * *

المؤلف في سطور

١- من مواليد قرية صفط العرفا – مركز الفشن – محافظة بنـــي ســويف ١٩٤٩م.

٢- المؤهل العلمي: حصل على ليسانس أصــول الــدين بالقــاهرة ســنة ١٩٧٤م.

٣- حصل على الماجستير، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية من نفس الكليــة سنة ١٩٩٦م.

٤- حصل على رسالة الدكتوراه، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية من نفــس الكلية سنة ٢٠٠٩م.

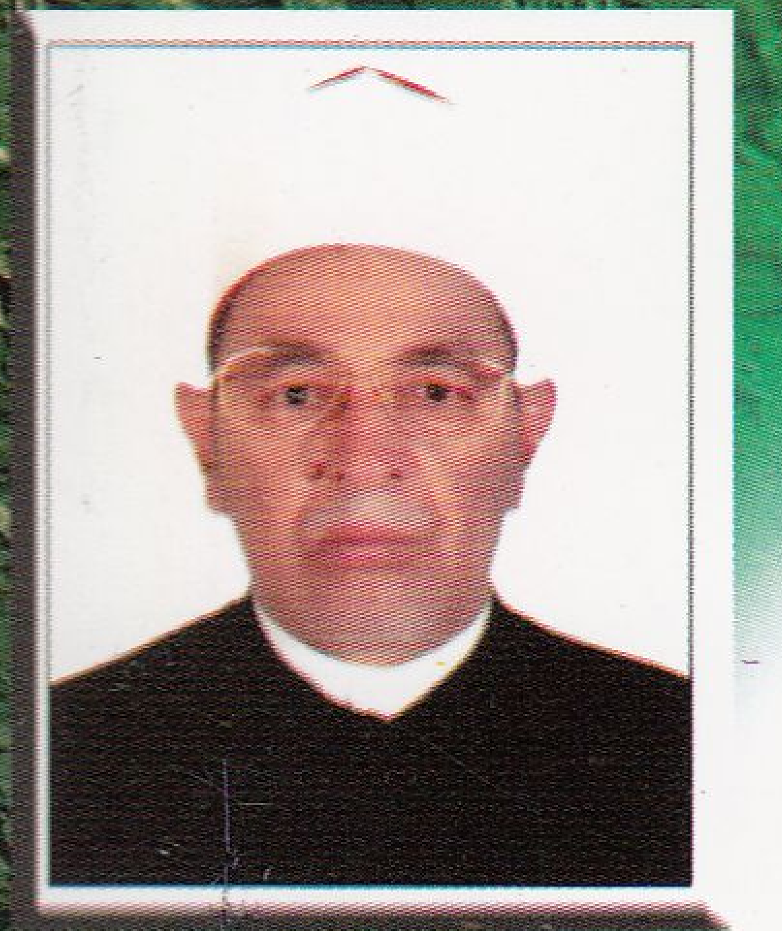
٥- لديه سندًا في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

٦- ولديه إجازات سماع في الحديث النبوي بالسند المتصل إلى الرسول ﷺ في كل من صحيح البخاريّ ومسلم والترمذيّ والنــسائيّ وابــن ماجــه ومسند الدارميّ والأربعين في فضائل أهل البيت الطيبة.

٧- عمل إمامًا وخطيبًا بوزارة الأوقاف بمصر من سنة ١٩٧٥م وحتى سنة ٢٠٠٠م، سافر خلالها في مهامّ دعوية إلى كلّ من نيجيريــا وأســبانيا وفنلندا.

٨- يعمل الآن إمامًا وخطيبًا بوزارة الأوقاف بالكويت.

والله الموفق



المؤلف في سطور

من مواليد قرية صفط العرفا - مركز الفشن - محافظة بنى سويف ١٩٤٩م

المؤهلات العلمية

حصل علي ليسانس أصول الدين بالقاهرة ١٩٧٤م

حصل علي الماجستير قسم الدعوة والثقافة الإسلامية من نفس الكلية سنة ١٩٩٦م

حصل علي رسالة الدكتوراه قسم الدعوة والثقافة الإسلامية من نفس الكلية سنة ٢٠٠٩م

لديه سند في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

ولديه إجازات سمع في الحديث النبوي بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله علية وسلم في كل من صحيح البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة ومسند الدرامي والأربعين في فضائل أهل البيت الطيبين

- عمل إماماً وخطيباً بوزارة الأوقاف بمصر من ١٩٧٥م ٢٠٠٠م

سافر خلالها في مهام دعوية إلى كلّ من نيجريا وأسبانيا وفنلندا

يعمل اماماً وخطيباً بوزارة الأوقاف بالكويت إلى الآن

والله الموفق





أسيوط ٦٩ ش الميثاق ت: ٠١٠٦٣٠٦٢١٥٠